اثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الاسلامية

حتى نهاية العصر الراشدي

رسالة تقدم بها الطالب

وائـل كليـب مطلـك الـدوري

الــى

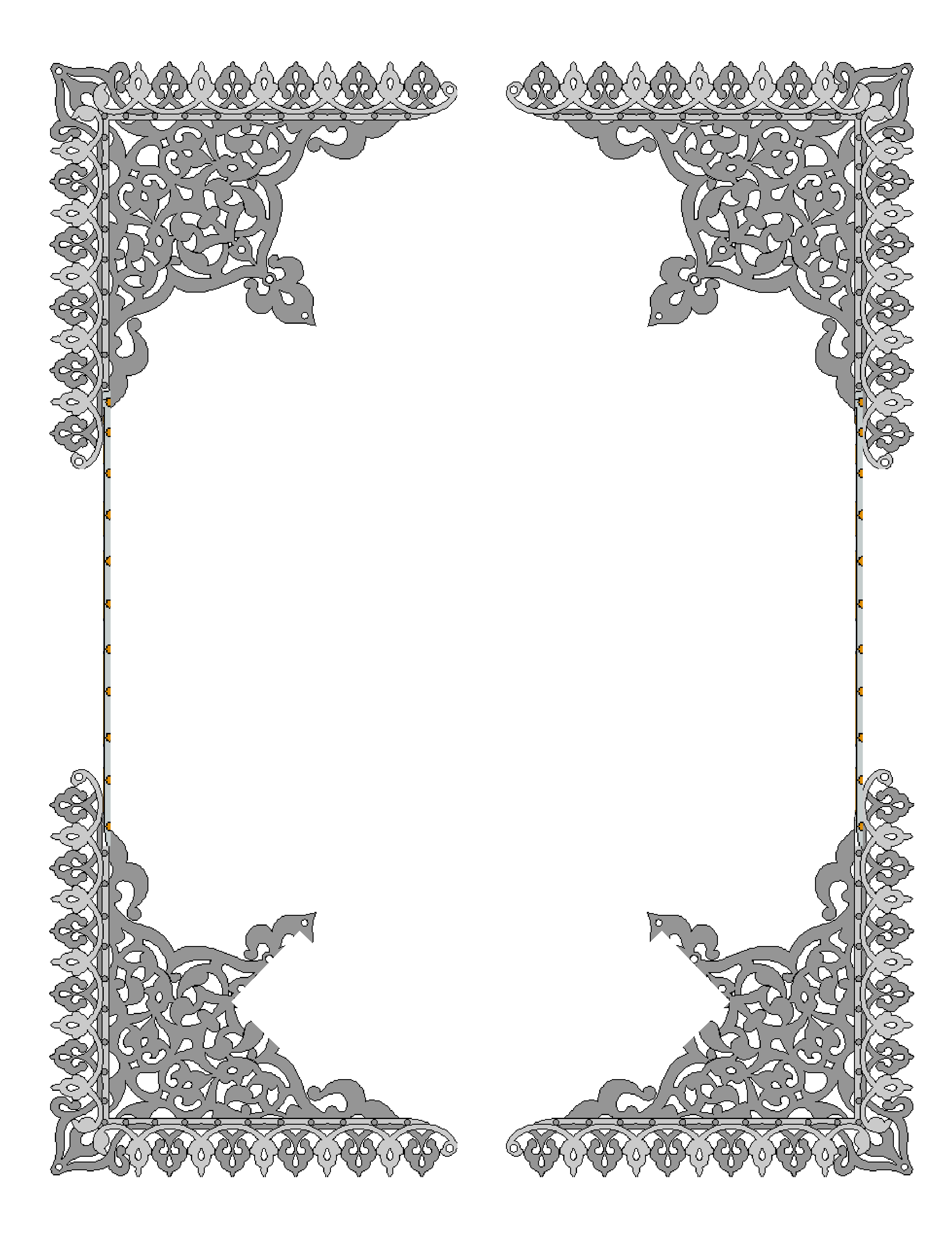
مجلس كلية التربية وهي جزء من
متطلبات الحصول على درجة
الماجستير في التاريخ الاسلامي

باشراف الدكتور

غامس خضير حسـن الدوري

1423هـ **2002م**

The Effect of Geographical Factor in Islamic Conquests Till the End of the Orthodox (Rashidi) Khalifs.



[وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء
فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء
وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]

سورة البقرة من الآية 164

إهداء خــاص

الى باني مجد العراق العظيم السيد
الرئيس القائد

صـــدام حســين

(حفظه الله ورعاه)

راعي العلم والعلماء

اهدي هذا البحث

الإهـــداء

الى من بعثه الله رحمة للعالمين ..

سيدنا محمد ρ وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن اهتدى بهديه الـى يوم الدين

الى والدي الكريمين ..

رب احفظهما ومُنَّ عليهما من فضلك بالصحة والعافية

الى اخـوتي ..

غـالب وثائـر

الى زوجتي واولادي..

محمد ، واحمد ، ورشا ، واروى ، وفاطمة

اهدي ثمرة جهدي هذه

الباحـث

شكر وتقدير

بعد هذه الرحلة التي لا تخلو من مشقة وعناء قضيتها محلقا في عالم المظان والمصادر التاريخية ، وانا انهي كتابة بحثي هذا لا يسعني الا ان اتقدم باسمى مشاعر الحب والتقدير الى استاذي الفاضل الدكتور غامس خضير حسن الدوري الذي حباني برعايته الابوية التي اكاد اعجز عن الوفاء له بها ، اذ كنت ارى فيه الاخ والمعلم لتوجيهه السديد لي على طريق العلم والحياة معا، ولولا متابعاته العلمية الموضوعية الدقيقة لما خرج البحث بهذه الصورة.

كما اتقدم بالشكر الى رئيس واساتذة قسم التاريخ وعلى وجه الخصوص الدكتور طلب صبار محل والدكتور محمود عباد الجبوري لقراءاتهم بعض فصول الرسالة حيث كان لتوجيهاتهم وتشجيعهم الاثر الكبير في انجاز هذا البحث.

كما اتقدم بالشكر والعرفان الى الدكتور ابراهيم الدوري لمساعدتي في اختيار موضوع البحث كما اتقدم بالشكر والعرفان الى المقوم اللغوي الاستاذ الفاضل الدكتور عبد الجليل تركي الدوري الذي قام بمراجعة الرسالة وتصحيح ما ورد فيها من اخطاء لغوية وتعبيرية.

كما اقدم شكري الى الاستاذ الدكتور خالد عبد الله محمد الذي قيم الرسالة فكريا وتصحيح ما ورد فيها من اخطاء.

واوجه شكري الى الدكتور مزاحم مهدي والسيد رياض عبد الله محمد والسيد محمد ياس الدوري لما قدموه من مساعدة علمية اغنت البحث.

كما لا يسعني الا ان اشكر كلا من منتسبي المكتبة المركزية / جامعة تكريت ومكتبة كلية التربية / جامعة تكريت ومكتبة قسم التاريخ / كلية التربية ومكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب ومكتبة تطوير القتال ومكتبة محمد الدرى في قضاء الدور ومنهم الاستاذ صبيح العباسي والسيدة الفاضلة ام رياض.

واقدم شكري وعرفاني الى الاخ عبد الله جار الله مطلك وذلك لاستخدامي مكتبته الخاصة.

واخيرا لا انسى فضل الاخوة والاخوات الذين مدوا لي العون لاتمام هذه الرسالة ومنهم الاخ ياسين جار الله والانسة رشا وائل والسيد احمد والسيد وليد خالد.
وفق الله الجميع وجزاهم الله خيرا.
الباحث

اقـرار المشـرف

اشـــهد بان اعداد هذه الرســـالـة جرى تحت اشـــرافي في قســـم التـاريخ في كليـة التربيـة / جـامعـة تكريـت وهي جزء من متطلبـات الحصـــول على درجـة المـاجســـتير في التاريخ الاسلامي.

التوقيع

المشرف: د. غامس خضير الدوري

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

التاريخ: / / 2002

اقـرار المقـوم اللغـوي

اشـهد اني راجعت رســالة الطالب **وائل كليب مطلك** الموسـومة " **اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسـلامية حتى نهاية العصـر الراشـدي**" من الناحية اللغوية وصـححت ما ورد فيها من اخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك اصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة قدر تعلق الامر بسلامة الاسلوب وصحة التعبير.

التوقيع

الاسم : عبد الجليل تركي نقي

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

التاريخ: / / 2002

اقـرار الخبيــر الفكــري

اشــهد اني راجعت رســالة الطالب **وائل كليب مطلك** الموســومة " **اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاســـلامية حتى نهاية العصـــر الراشـــدي**" من الناحية الفكرية فوجدتها ســـالمة من هذه الناحية.

التوقيع

الاسم : خالد عبد الله محمود

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

التاريخ: / / 2002

رئيس القسـم

بناءا على توصـــيات المقوم اللغوي والخبير الفكري لرســـالة الطالب **وائل كليب مطلك** الموسومة " **اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية حتى نهاية العصر الراشدي**" ارشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع

الاسم : طلب صبار محل

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

المنصب: رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / / 2002

قـرار لجنة المناقشـة

نحن اعضـاء نشـهد لجنة المناقشـة نشـهد بأننا قد اطلعنا على هذه الرسـالة التي تقدم بها الطالب **وائل كليب مطلك** الموســـومة "**اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاســـلامية حتى نهاية العصــر الراشــدي**" وناقشـنا الطالب بمحتوياتها وفيما له علاقة بها وهي جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي وبتقدير (جيد جداً).

التوقيع:

أ.د.م باسم صالح نجم

عضو لجنة المناقشة

التاريخ: / / 2002

التوقيع:

أ.د.م عاطف عباس حمودي

عضو لجنة المناقشة

التاريخ: / / 2002

التوقيع:

أ.د.م غامس خضير حسن

(مشرفاً)

التاريخ: / / 2002

التوقيع:

أ.د خالد جاسم الجنابي

رئيس لجنة المناقشة

التاريخ: / / 2002

قرار مجلـس الكليـة

صادق مجلس كلية التربية / جامعة تكريت على قرار لجنة المناقشة

أ.د.م غامس خضير حسن

عميد كلية التربية / جامعة تكريت

/ / 2002

قائمـة المحتويـات

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ρ خير الأنام وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

يعد القتال في سـبيل الله تعالى من المواضـيع الهامة التي تسـتحق الدراسـة خاصة ونحن نبحث في عصر الرسالة وصدر الإسلام، فقد شرع الله عزّ وجلّ القتال في سبيله بعد هجرة الرسول ρ إلى المدينة المنورة وأصبح المسلمون دولة، وكان أول تشـــريـع لـلـقـتـال دفـاعـاً عـن الـنـفـس جـاء فـي قـولـه تـعـالـى **[أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ]** (1).

ونزلت آيات أخرى تنقل المســـلمين إلى مراحل أخرى في القتال بأهداف وغايات تتلائم مع ما يحقق أهداف الأمة الإسـلامية وإعلاء كلمة الحق، كما جاء في قوله تعالى **[وَقَاتِلُواْ فِي سَـــبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ]** (2).

إن دراسة السيرة النبوية والخلافة الراشدة وما يتعلق بالفتوحات الإسلامية من المواضـيع التي اسـتهوتني ونالت اهتمامي خلال دراسـتي الجامعية (بكالوريوس) وما بعدها في حقبة ممارســـتي التعليم الثانوي لما لهذا الدين من أثر على أمتنا العربية والانسانية جمعاء بما فيه من دروس وعِبر في كيفية انتشاره ودور القادة والمقاتلة في نشـــره وتـحـريـر الأرض وإعـلاء كـلـمـة الله تـعـالـى فكانت تلك المبررات إحدى الأســباب التي دعتني إلى أن أختار موضـــوع (أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي).

ومن الأسـباب الأخرى التي حفزتني لهذه الدراسـة ان هناك عدداً من البحوث والدراسات والكتب التي اختصت بتأريخ العرب العسكري بدءاً بحياة الرسول محمد ρ وحـتـى نـهـايـة الـدولـة الـعـبـاسـيـة عـلـى أيـدي الـمـغـول

---

(1) سورة الحج: 39.

(2) سورة البقرة: 190.

سـنة 656هـ/1258م، وقد تحدثت عن فتوحاتهم وأبطالهم دون ايلاء العوامل الجغرافية ذكراً مهماً في تلك الفتوحات.

وتجدر الاشارة أن لكل بحث جملة من الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء إعداده، وتقف في مقدمة هذه الصعوبات التي واجهتها في بحثي هذا هو قلة الدراسات التي تناولت أثر العوامل الجغرافية التي تم دراستها باستثناء دراسة واحدة لمؤلفها أحمد محمد حسونة والموسومة (أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية) ومما يؤخذ على هذا المؤلف أنه نظر إلى العامل الجغرافي نظرة عامة تناولت في الغالب التضاريس والظروف البيئية ولم يتتبع العوامل الجغرافية الاخرى التي أثرت تأثيراً مباشراً في المعركة.

ولأن جغرافية الفتح الاسلامي لم تكن على شكل واحد من حيث التضاريس والمناخ الذي يسودها والمياه المتواجدة فيها لذا كان لتلك الاثار الجغرافية لمحات مختلفة بين منطقة واخرى وهي مبثوثة في طي الكتب التي اختصت في المعارك التي خاضها المسلمون العرب منذ اول معركة قادها الرسول محمد ρ وحتى نهاية عصر الخلافة الراشدة وكان المسلمون في كل جبهة من جبهات الفتح يواجهون عوامل جغرافية متباينة .

وقد تضمن البحث ثلاثة فصول حسب جبهات الفتح اختص الأول بأثر العوامل الجغرافية في جبهة شبه الجزيرة العربية ويقع في ثلاثة مباحث تضمن المبحث الأول أثر العوامل المناخية والمتمثلة بالأمطار والسيول واتجاه الريح والشمس ثم الجفاف، ويتضمن المبحث الثاني الذي خصص لمياه الآبار كما هو الحال في معركة بدر، أما المبحث الثالث فقد تناول دراسة أثر التضاريس ويقع في نطاقين ، أثر الجبال وأثر الوديان.

وخصص الفصل الثاني لدراسة أثر العوامل الجغرافية في جبهة العراق والمشرق وتتضمن ثلاث مباحث:

شمل المبحث الاول أثر العوامل المناخية المتمثلة بالأمطار والبرد والدمق واتجاه الريح وأثر المناخ في اختيار المعسكرات الإسلامية كما يظهر ذلك في اختيار معسكر البصرة ومعسكر الكوفة، ثم جاء المبحث الثاني وقد تصدرت المياه وهي على

صـــنفين، مياه الآبار ومياه الانهار، وكانت مياه الأنهار في جبهة العراق والمشــرق أكثر بروزاً، فقد وقفت حاجزاً منيعاً في الكثير من الفتوحات، كما هو الحال في معارك الضـفاف ومعارك العبور.

أما المبحث الثالث فقد اشتمل على أثر التضاريس وكانت الصحراء فيها تمثل حلقة الوصل بين جبهة شبه الجزيرة العربية وجبهة بلاد الشام لأن المسلمين حرصوا على البقاء على أطراف الصـــحراء لئلا يفصـــلهم مانع مائي عن مركز الخلافة الإســـلامية، وتظهر الجبال أيضـاً بوضـوح في هذه الجبهة كمانع طبيعي في ايقاف الفتح الإسـلامي كما يظهر ذلك عند بلوغ العرب سفوح الجبال التي تفصل سهل العراق عن هضبة فارس .

أما الفصل الثالث فقد خصص لجبهة بلاد الشام، وتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول خصـص للعوامل المناخية، وهي الامطار، والبرد وهو أوضـح عامل جغرافي أثّر في الفتح في هذه الجبهة لأن العرب لم يألفوه من قبل، واتجاه الريح والشــمس وكذلك العوامل البيئية فظهرت الأمراض كطاعون عمواس وكان ذلك بسـبب وخومة الهواء التي لم يألفها العرب في بيئتهم الحجاز.

أما المبحث الثاني، فقد خصص لدراسة أثر المياه وهي على قسمين: مياه الأنهار، ومياه البحر، وهذا العامل (أي مياه البحر) أكثر بروزاً من غيره في هذه الجبهة لأن العرب لم يركبوا البحر عسكريا في عصر الرسول ρ من قبل فقد وقفوا واجمين أمامه حتى استقر أمرهم وعلا شأنهم في الإسلام فبنوا أكبر أسطول بحري في هذه الجبهة مما ساعد فيما بعد على انتشار الإسلام فيما وراء البحار.

أما المبحث الثالث فقد ضـم الكثير من التضـاريس لاختلاف أرض جبهة الشـام، وفيها الصـحاري والسهول والوديان وبعض التلال وأوضـح هذه العوامل تأثيراً هي الصـحراء كما يظهر ذلك بقطع خالد بن الوليد المفاوز الشاسعة لمباغتة جيش الروم.

وبعد فاني أرجو أن أكون قد وفقت لعرض جانب مهم من جوانب الفتح الإســلامي الذي تمثل بتلك الآثار الجغرافية، مسترشداً بالموضوعية والصدق في البحث محاولاً عرض صــفحات قليلة من تاريخنا المشــرق آملين من الله التوفيق في ذلك ، وحســبنا ان أخطأنا فذلك من النفس وندعو الله بقوله الكريم (ربنا لا تؤاخذنا ان نســـينا أو أخطأنا) فهما آفة الأنسان اليوم ، وان أصبنا فذلك ما نرجوه وهو فضـل محض من الله عز وجل انه على ما يشاء قدير وله الكمال وحده .

نظـرة في المصـادر:

اقتضت دراسة أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي دراسة وقراءة عدد من المصادر للالمام بمفردات هذا البحث، فقد تم الاطلاع على كتب التأريخ والتراجم والمغازي والجغرافية والتفسـير واللغة ولم يكتف البحث بالكتب القديمة بل الاطلاع على عدد من الكتب الحديثة التي لها علاقة بالموضـوع، وسأحاول استعراض تلك الأنواع المختلفة مركزاً على أهمها.

<u>كتب التفسير</u>:

تورد كتب التفسير، تفسير آيات الذكر الحكيم وأسباب نزولها ومن هذه الكتب كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري (310هـ) وتفسـير القرآن العظيم لابن كثير (774هـ) ، وكانت الاسـتفادة منها في الآيات التي تناولت معركة بدر والخندق (الاحزاب).

<u>كتب الحديث</u>:

كانت الاستفادة منها في الاستشهاد بحدوث الامراض والاوبئة والوقاية منها، ومنها كتاب صحيح البخاري المتوفي 256 هـ وصحيح مسلم المتوفي 261 هـ.

<u>كتب السير والمغازي</u>، ومنها :

كتاب المغازي لعروة بن الزبير (94هـ):

يعد هذا الكتاب من أقدم كتب المغازي وقد أفاد منه الزهري والواقدي وغيرهم، أفدت منه في توضيح أثر مياه الآبار في معركة بدر، وأثر الجبل في معركة أحد.

المغازي للواقدي (207هـ):

ويعد من الكتب القيمة في دراسة التأريخ العسكري الذي راعى التسلسل الزمني للأحداث، أفادني في الفصل الاول من الرسالة مركزاً على أهمية الريح واتجاه الشمس وأثر المياه في غزوات وسرايا الرسول ﷺ.

السيرة النبوية لابن هشام (218هـ):

يحتوي هذا الكتاب على مجمل السيرة النبوية لابن إسحاق وهي من أشهر السير وأكثرها تداولاً بين الناس وقد أخذتُ منه كثيراً في هذه الرسالة وخاصة في الفصل الأول مشيراً إلى أهمية العامل الجغرافي في غزوات وسرايا الرسول ρ مثل مياه الآبار والامطار في معركة بدر والجبل في معركة أحد والخندق واثر الوديان في معركة حنين.

كتب الطبقات والتراجم:

وكتب الطبقات والتراجم أهمية كبيرة، إذ أنها تحمل في طياتها على اشارات جغرافية ومنها:

كتاب الطبقات لابن سعد (230هـ):

كانت الاستفادة من هذا الكتاب كبيرة لما حواه من معلومات جغرافية شملت غزوات وسرايا رسول الله ρ مركزاً على الامطار ومياه الآبار في معركة بدر والجبل في معركة أحد والخندق والريح في معركة الخندق.

كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (630هـ):

كانت الاستفادة منه ترجمة لحياة عدد من قادة الفتح اضافة إلى انه يحمل معلومات جغرافية قليلة.

كتب اللغة:

مثل لسان العرب لابن منظور المتوفي 711 هـ والقاموس المحيط للفيروز آبادي المتوفي 817 هـ... وكانت الفائدة منها في توضيح بعض التعابير الصعبة لغوياً.

الكتب التاريخيـة :

وتبحث هذه الكتب في الغالب الحوادث السياسية والعسكرية والادارية بما في ذلك اخبار الفتوح والتي تناولت في كتاباتها أثر العامل الجغرافي في المعركة ســـواء كان هذا العامل سلبيا أو ايجابيا على جيش المسلمين او أعدائهم ومن هذه الكتب:

كتاب تأريخ خليفة بن خياط (240هـ):

نظم الحوادث على أساس السنين ويبدأ من السنة الاولى للهجرة وينتهي سنة 230هـ، استفدت من المعلومات الموجودة في ثناياه عن أثر المناخ والموقع الجغرافي في اختيار معسكرات المسلمين التي بُنيت على أطراف الصحراء.

كتاب تأريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (310هـ):

فلا غنى للباحث عنه وهو كتاب حولي يبدأ التدوين منذ بدء الخليقة وحتى سنة 290هـ. وقد أفدت منه فائدة كبيرة اذ يندر ان تخلو صفحة من صفحات الرسالة من اشــارة إليه، وقد زودنا بمعلومات هامة عن أثر العامل الجغرافي في المعركة وما له أثر على جيش المسلمين أو أعدائهم.

الكامل في التأريخ لابن الأثير (630هـ):

وقد اعتمد في معظم أخباره على الطبري، وبذكر أثر العامل الجغرافي في معارك المسلمين سواء كان في عهد النبوة أو الخلافة الراشدة وقد استفدت منه في جميع فصول الرسالة.

الكتب الجغرافيـة :

افدت منها فائدة كبيرة في جميع فصـــول الرســـالة وذلك بترجمة اغلب اماكن الفتح الاسلامي ومن هذه الكتب: كتاب معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت626هـــ)، وابو الفداء، تقويم البلدان (ت732هـ)، والحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار (ت 900هـ).

المراجع الحديثة:

أما المراجع الحديثة فقد ساهمت مساهمة كبيرة في اغناء البحث بالآراء أو بالاشارة إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلفون المحدثون ومن أهم هذه الكتب، كتاب اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية لمؤلفه احمد محمد حسونة وكتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد لمؤلفه الجنرال أأ أكرم الذي اعتمد في تدوين مادته التاريخية وفق ما شاهده من المواقع الجغرافية لمعارك خالد بن الوليد τ في جبهة شبه الجزيرة العربية وجبهة العراق وجبهة بلاد الشام، وغيرهم من المؤلفين المحدثين الذين استطلعوا مواقع الأحداث التاريخية ومنهم: العميد الركن سيف الدين سعيد آل يحيى في كتابه الحركات العسكرية في كفتي الميزان، ومحمود الدرة في كتابه تأريخ العرب العسكري، والمرحوم اللواء الركن محمود شيت خطاب، في كتاب خالد بن الوليد، الذين كان لهم الفضل الكبير في التحليل التاريخي والجغرافي والعسكري لعوامل النصر الإسلامي ولبعضهم الفضل الكبير في الردّ على مزاعم بعض المستشرقين الذين حاولوا النَّيل من حركة الفتوحات الإسلامية وقد دوّنت آرائهم وردودهم في ثنايا رسالتي.

الفصـــل الاول

أثر العوامل الجغرافية في جبهة الجزيـرة العربيـة

المبحـث الاول

أثــر العـوامـل المناخيـة

1 ـ الامطـار والسيـول:

كان لمياه الامطار والسـيول اثر على سـير بعض المعارك التي وقعت في شـبه الجزيرة العربية، اذ كان تأثيرها واضـحا على نتائج عدد من المعارك، ففي غزوة بدر سنة 2هـ/ 624م، ساعدت الامطار على تحقيق النصر على المشركين، وذكرت اغلب المصـادر التاريخية [1] ان هطول الامطار الغزيرة ليلة المعركة، قد اثرت على جبهة العدو اذ حدت من حركته، بسـبب وحولة الارض، في حين سـاعد المطر في جبهة المسـلمين على ازالة الغبار وتلبيد الارض، فقد جاء في رواية الواقدي ما يوضـح ذلك

---

(1) الواقدي، ابو عبد الله محمد بن عمر، المغازي، تحقيق مارسـدس جونس مط (جامعة اكسـفورد سنة 1966) ج1 ص54 ؛ ابن هشام، ابو محمد عبد الملك، السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وآخرون ،دار الفكر، (بيروت ، 1960)، ج2 ص620 ؛ ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى دار صادر (بيروت بلا ت) ج2 ص15؛ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك تحقيق، محمد ابو الفضل إبراهيم ، ط4 دار المعارف (القاهرة، 1969) ج2 ص425؛ السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن، الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة (القاهرة 1385 – 1966)، ج5 ص97 – 98، ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، 1385، 1965) ج2 ص122.

بقوله :"وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا[1] فاصابنا ما لبد الارض ولم يمنعنا من المسير واصاب قريشا ما لم يقدروا ان يرتحلوا منه"[2].

ولكي نصل الى حقيقة ذلك، علينا ان نصف ارض المعركة التي نزل عليها كلا الجيشين، ومدى تأثير مياه الامطار عليها، وهي كما يصفها الواقدي بقوله "نزل رسول ρ بالعدوة [3] الشامية ونزلوا بالعدوة اليمانية"[4] ويؤكد ابن هشام ذلك بقوله "ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل[5]، وبطن الوادي هو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب[6] الذي خلفه قريش"[7].

وفي هذا قال تعالى **[إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ]** [8] وقد فسرت الآية السابقة ساعة نزول الرسول ρ جهة الوادي باتجاه المدينة ونزلت قريش جهة الوادي الاخرى التي هي باتجاه مكة المكرمة[9].

فكان المطر نعمة وقوة للمسلمين وبلاء على المشركين، ففي جبهة المسلمين ساعد المطر على اطفاء الغبار وتلبيد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر حتى لاتسوغ

(1) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا بتراب، : الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط، دار الجيل (لبنان بلا ت) ج2 ص225.

(2) المغازي ج1 ص54.

(3) العدوة : عدوتا النهر والوادي جنبتاه، : الواقدي، المغازي، ج1 ص56. ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، بلا ت) ج15 ص 40.

(4) المغازي، ج1 ص56.

(5) العقنقل: الوادي المتسع، : الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4 ص20.

(6) الكثيب: تل من الرمل:الفيروز آبادي،القاموس المحيط،126؛ابن منظور، لسان العرب، ج1 ص703.

(7) السيرة النبوية، ج1 ص619 – 620 ؛ : الطبري، تاريخ ج2 ص439.

(8) سورة الانفال : من الآية 42.

(9) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط3 (مط مصطفى البابي واولاده) ج10 ص9-10، ابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير ابو الفداء، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر، (بيروت، 1401) ج2 ، 314.

في الرمال[1]. وفي هذا قال الله تعالى:**[إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ]**[2]، وقد فسر الطبري الاية قد انعم الله على المؤمنين بالنعاس بغشى عيونهم ليدخل في نفوسهم الامن بعد الخوف، وقد نزل المسلمون بعيداً عن الماء ، فأنزل الله عليهم المطر ليطهرهم، حيث التقوا مع عدوهم على رملة هشاء فلبدها المطر حتى ثبتت عليها اقدام المسلمين[3].

ويبدو مما تقدم ان المشركين قد نزلوا بضفة الوادي الجنوبية خلف تلة من الرمل (الكثيب) وامامهم بطن الوادي، بينما نزل المسلمون على مقربة من ضفة الوادي الشمالية ومع ان طبيعة ارض الوادي لينة الا انها غير موحلة عند هطول الامطار، في حين تختلف طبيعة الارض المحيطة بالوادي من الشمال بعض الاختلاف في سفوح الوادي الجنوبية، فبينما تتلبد الارض فيسهل السير عليها في القسم الشمالي نجد الامر عكس ذلك في جنوب الوادي حيث تصبح الارض موحلة فيتعذر المسير عليها[4] وبذلك اثرت الامطار تأثيراً مباشراً على جيش المشركين.

---

(1) الحلبي : علي برهان الدين ، السيرة الحلبية المعروفة بانسان العيون في سيرة الامين والمامون، مط الاستقامة ، القاهرة ، 1382هـ – 1962م ، ج2 ص64.

(2) سورة الانفال : اية 11.

(3) الطبري: تفسير ، ج9 ص193–194 و ابن كثير : تفسير القران العظيم ج2 ص191–192.

(4) محمود الدرة: تاريخ العرب العسكري، دار الكاتب العربي (بيروت 1964) ص84 .

وفي سنة 8/هـ 629م ارسل النبي محمد ρ غالب بن عبد الله الليثي[1] في سرية الى بني الملوح بوادي الكديد[2] وامره بالغارة عليهم[3]. فسارت السرية وعند المساء وصلت وادي الكديد اذ كمن المسلمون في ناحية الوادي فامهلوا العدو حتى اقبلت ماشيتهم فحلبوها واطمأنوا عليها، فشن افراد السرية الغارة عليهم عند الفجر ويصف جندب بن مكيث الجهني[4] الذي كان احد افراد السرية تفاصيل الاحداث التي وقعت فيها وما للطبيعة من اثر في نصرة المسلمين بقوله "فشننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعا واتى صريخ القوم فجاءنا مالا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا الا بطن الوادي من كديد بعث الله السماء من حيث شاء سحابا ما رأينا قبل ذلك مطرا مثله فجاء الوادي بما لا يقدر احد أن يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون الينا ما يقدر احد ان يتقدم وقدمنا المدينة"[5]

وفي رواية اخرى لابن هشام ان الله تعالى لم يبعث مطرا ولا سحابا وانما "ارسل الله تبارك وتعالى الوادي بالسيل من حيث شاء الله تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا

---

(1) غالب بن عبد الله الليثي: غالب بن عبد الله بن مسعر بن كلب بن ليث الليثي له صحبة ارسله النبي ρ في سرية من ستين راكباً إلى بني الملوح، ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب: مكتبة المثنى بغداد 1328هـ ج3، ص183؛ ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون (بلا ت ومكان) ج4، ص336؛ ابن حجر: شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي : الاصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1328هـ ، ج3، 183-184.

(2) وادي الكديد: الكديد ما غلظ من الارض، هو موضع بالحجاز يبعد عن مكة 42 ميلا ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت ، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي (بيروت 1996). ج7 ص 123.

(3) الطبري تاريخ، ج3 ص27.

(4) جندب بن مكيث بن عمرو بن جراد بن يربوع بن طحيل بن عديل الجهني ، له صحبة ، كان احد افراد السرية التي بعث بها الرسول ρ الى بني الملوح ، ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1، ص62؛ الذهبي : الحافظ شمس الدين عبد بن محمد بن احمد، تجريد اسماء الصحابة، تصحيح صالح عبد الحكم شرف الدين ، (الهند 1389هـ – 1969م) ج1، ص91: ؛ ابن حجر: الاصابة، ج1، ص250-251.

(5) ابن الاثير، الكامل، ج2 ص229 – 230

مطر، فجاء بشـيء ليس لاحد به قوة ولا بقدر على ان يجاوزه، فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم، ما يستطيع منهم رجل ان يجيز الينا، ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم، فلم يقدروا على طلبنا"[1].

ومن خلال الجمع بين الروايتين من المؤكد ان القول ان الله تعالى بعث سحابا ثقالا احدث سـيلا امتلأ منه الوادي سـواء كان في المنطقة او خارجها فحال بين المسـلمين وعدوهم ولولا ذلك، لكانت الدائرة على المســلمين لعدم تكافؤ القوى بين الفريقين، فذلك نصر الهي بتأثير الطبيعية وليس للسيف والرمح اثر فيه.

وقد ذكرت المصادر[2] سقوط الامطار في غزوات وسرايا لم تشير المصادر مقدار تأثيرها على سير المعارك، وبما ان المعارك قد وقعت في منطقة صحراوية فلا بد من انها قد تركت أثراً سلبياً او ايجابياً على نتائج المعارك للطرفين المتقاتلين.

ففي غزوة الحديبية سـنة 6هـــ/627م نزل رسـول الله ρ في وادي قليل الماء، مما ادى بالمسلمين إلى ان يشكوا العطش إلى رسول الله ρ اذ ارسل الله تعالى السماء حتى كثرت المياه[3]، وفي غزوة غطفان 8هــ/629م مطر المسلمون وقد ذكر الواقدي ذلك (ان رسـول الله ρ نزل بذي امر ناحية الخيل وعسـكر بها يريد غطفان فاصـاب المسلمين مطراً كثيراً..)[4]

2 ـ اتجاه الريح والشمس:

حرص المقاتلة العرب على ان يكون اتجاه الشـــمس وهبوب الريح من وراء ظهورهم وكان الرسولρ سباقا في استخدامها وطبق العرب هذه المبادئ في حروبهم ضد اعدائهم من بعده، ومن امثلة ذلك ما جرى في معركة بدر سنة 2هـ/624م فقد استقبل المصطفى

(1) السيرة النبوية، ج4 ص611؛ ابن سعد، الطبقات ج2 ص125.

(2) الواقدي: المغازي،ج1،ص195؛وابن سعد:الطبقات ، ج2 ص35.

(3) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص96.

(4) الواقدي: المغازي/ ج1، 195، السيوطي، جلا الدين عبد الرحمن، كفاءة الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1985) ج2 399.

ρ المغرب وجعل الشمس خلفه، واقبل المشركين فاستقبلوا الشمس[1] والريح[2]، حيث كانت الرياح السائدة الصبا[3].

وفي غزوة احد سنة 3 هـ /625م[4] "كانت الريح والدُولة للمسلمين في بادي الامر"[5] لالتزامهم بخطة الحبيب محمد ρ اذ نزل الرسول محمد ρ فاسند ظهره إلى جبل احد واستدبر الشمس[6]، اما قريش فقد استقبلوا الشمس، وكانت الريح اول المعركة صبا، مستقبلة وجوه المشركين لانها تهب من مطلع الشمس[7]، وقد ساعدت الريح على وصول سهام المسلمين الى اهدافها بدقة علاوة على ذلك تساعد على اعماء المقابل بالاتربة.

---

(1) الواقدي، المغازي ،ج1 ص56؛ جون جوت غلوب، الفتوحات الإسلامية الكبرى، تعريب وتعليق خيري حماد، مكتبة المثنى (بغداد بلا ت).

(2) الريح : تختص بالعذاب ، كما جاء في قوله تعالى:[**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**] سورة آل عمران من الآية 117. الرياح: تختص بالرحمة ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى:[**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ...**] سورة الحجر آية22،[**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا**]سورة الفرقان آية48، المعجم المفهرس لالفاظ الاقرآن الكريم ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار ومطابع الشعب (بلا ت ومكان) ، ص326 .

(3) الصبا : وهي القبول ما هب من مطلع الشمس، المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والاشراف، مرجعة وتصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي مكتبة (المثنى 1938) ص16.

(4) الحنبلي، ابو الفلاح بن عبد الحي بن عماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا ت) ج1 ص10.

(5) الحلبي ، السيرة الحلبية، ج1 ص42.

(6) الواقدي ، المغازي ، ج2 ص220.

(7) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص16.

وقد اكد الهرثمي اهمية الريح واتجاه الشـمس في ارض المعركة وقال "توخ ان تكون الريح والشـــمس من وراء ظهرك، فـان لم يمكنـك فـاحرص على اخـذ الريح بكـل حيلة..."[1].

ولما اخل الرماة بوصـــية الرســـول ρ وتركوا اماكنهم على الجبل (عينين) كرَّ المشركون عليهم من الخلف وانتفضت صفوفهم واستدارت رحاهم فبعد ان كانت الريح صبا صارت دبوراً[2] [3] .

وفي حصـار المدينة سنة 5هـــ /627م كان للريح اثر في حسم المعركة لصـالح المســلمين وقد ذكر اثر تلك الريح في قوله تعالى**[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَـــلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِـــيرًا]** [4] وقد فســـر الطبري قوله تعالى "جنود الاحزاب قريش وغطفان ويهود بني النضــير، وارســل الله عز وجل ريح الصــبا عليهم في ليال باردة شـديدة البرودة حتى كفأت قدورهم على افواهها ونزعت فســـاطيطهم**[وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا]** الملائكة[5] فكانت هـذه الـريـح الـربـانـيـة ســـبـبـا لـعـدم ثـبـات جـنـود الاحـزاب عند الخندق.

ويروي ابن هشـــام عن حذيفة بن اليمـان[6] الـذي ارســـلـه النبي محمـد ρ يتجســـس على القوم ومـا جرى لهم من اثر الريح على جيش المشـــركين فيقول

---

(1) ابو ســعيد الشــعراني، مختصــر ســياســة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون (القاهرة، بلا ت)، ص31-32.

(2) الدبور:وهي التي تهب من دبر من استقبل المشرق ولذلك سميت دبور،المسعودي، التنبيه والاشراف ص16.؛ ابن اياس ، محمد بن احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور دار العلوم الحديثة (بيروت بلا ت) ص 12 .

(3) ابن سعد الطبقات، ج2 ص42.

(4) سورة الاحزاب : آية 9 .

(5) الطبري ، تفسير ج11 ص126-128.

(6) حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن حســل ويقال له حســيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة، واليمان لقب حسل بن جابر، صحابي جليل وصاحبة سر الرسول ρ في المنافقين لم يعلمه احد الا حذيفة اعلمه

"فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء"[1].

لقد قضى ابو سفيان وقتا طويلا امام الخندق، دون ان يستطيع اقتحامه واجتيازه، وكان الوقت شتاء شديد البرودة قاسيا ذا عواصف رملية ورياح هوجاء كفأت قدورهم وطرحت ابنيتهم وقلعت خيامهم فاضطر ابو سفيان إلى ان يخطب بقومه عندما يئس من تحقيق النصر على المسلمين قائلاً: "انكم والله ما اصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف... ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل"[2]. فقد اثرت الريح تأثيرا مباشرا في عدم صمود جيش الاحزاب امام هذه الرياح الباردة والقوية التي ادت بالتالي الى انسحابهم مدحورين بسبب اهمالهم العوامل الطبيعية في معاركهم ففي هذه المعركة دام حصار المدينة (اربعا وعشرين ليلة)[3] الى ان قدم الشتاء، فهبت الريح فزعزت قوات المشركين

بهم رسول اللهρ، وكان عمر τ إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فاذا حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر τ ، شهد حذيفة نهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن امير الجيش اخذ الراية وكان فتح همذان والري والدينور على يده، شهد مع النبيρ غزوة احد والخندق وقد ارسله رسول الله ρ ليلة الاحزاب إلى معسكر المشركين يأتيه بالاخبار ، توفي قبل الخليفة عثمان بن عفان τ سنة 36هـ ، ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1، ص468-469 ؛ الذهبي، تجريد اسماء الصحابة ، ج1، ص125؛ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، ط2 دار الفكر بيروت (بلا ت) ص192-193

(1) السيرة النبوية، ج3 ص232؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص69؛ الطبري، تاريخ، ج2 ص580؛ الكلاعي، ابن الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسولρ والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين،عالم الكتب(بيروت 1997)ج3ص217.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص232؛ ابن سعد، الطبقات، ج2 ص69؛ الطبري ج3 ص580؛ بن عبد البر القرطبي، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف دار المعارف (القاهرة، 1403)، ج1 ص177؛ السهيلي، الروض الانف ج6 ص281؛ محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسولρ ، (دار الفكر 1958)، ص186 .

(3) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص73.

وارغمتهم على الرحيل، فكان انســحابهم بســبب الريح نصــرا للمســلمين حيث قال ρ "نصرت بالصبا واهكلت عاد بالدبور"[1].

وفي ســنة 6هـــــ / 629م غزا رســول الله ρ بني المصــطلق[2] عندما علم بتجمعهم لقتاله، فقاتلهم حتى ظفر بهم، وقد اصــيب هشــام بن صــبابة عندما خرج في طلب العدو في ريح شــديدة حين لقيه رجل من رهط عباده بن الصــامت فظن انه من العدو فقتله[3].

وكان ذلك بسبب الريح الشديدة ولربما كان مدى الرؤيا غير بعيد مما ادى الى عدم التعرف عليه فقتله.

3 - الجفــاف:

وردت هذه اللفظة بمعاني عديدة[4] تبين مدلولاتها كافة على انها لها اثار ســـلبية على الانســان لما تخلفه من ازمات اقتصــادية وشــحة في الغلات وزيادة في الاســعار ومن معانيها انها تعني الجدب، قال تعالى [**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**] [5].

ودعا الرســول محمد ρ على قريش عندما ازداد اذاهم المســلمين فقال "اللهم اعني عليهم بســني كســني يوســف"[6] والســنة هنا تعني الجدب "... تنقطع فيها الامطار

(1) مسلم، ابو الحسين بن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، بلا ت، ج2 ص617.

(2) الواقدي، المغازي، ج2 ص604؛ الطبري ، تاريخ ، ج2 ص604.

(3) الواقدي، المغازي، ج1 ص 407 – 408؛ ابن هشام، السيرة النبوية ج3 ص290؛ الطبري، تاريخ، ج2 ص604.

(4) الجائحة، السنة، المجدبة العجفاء، ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل، المخصص، دار الافاق، (بيروت بلا ت) ج3 ص167.

(5) سورة الاعراف : الآية 130.

(6) ابن الاثير: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: محمود محمد الطناخي وآخرون، ط2، دار الفكر، 1399هـ 1979م (بلا مكان).

وتؤدي الى هزل الحيوان وموته وثبات الغلاء وقلة الاطعمة وتصــرم المياه في الاودية والآبار"[1]، ومعظم الاماكن التي تتعرض للجفاف هي المناطق البعيد من مجاري الانهار اذ تعتمد في زارعة محاصـيلها على مياه الامطار وقد اورد ياقوت على لسـان الجاحظ ان اهل البصرة لا يخافون الجدب بسبب موقع مدينتهم على النهر وعلى ساحل البحر [2].

ومن دراســـة اثر العوامل الجغرافية على الفتوحات الإســـلامية ظهر لنا عدد من حالات الجفاف في الجزيرة العربية اثرت على سير المعارك العسكرية.

ففي سنة 4هــــ / 626م خرج ابو سفيان لطلب الرسول محمد ρ ببدر القتال[3] وعندما انتهى إلى مجنة[4] وهي مر الظهران[5] رجع إلى مكة المكرمة وقال لاصـحابه "انه لايصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا"[6].

وفي ســنة 13هـ - 634م عندما تجمعت الجيوش الاســلامية في المدينة المنورة لتحرير بلاد الشام تقدم سادات القبائل الى الخليفة ابي بكر الصـديق τ وقالوا له "انك امرتنا بامر فاســـرعنا لله ولك رغبة في الجهاد، وقد تكامل جيشـــنا وفرغنا من اهبتنا والمقام قد اضـــربنا لان بلدك ليس بلد جيش ولا حافر..."[7]، ومما يبدو مما تقدم ان

(1) الهمذاني، حســن بن احمد بن يعقوب، صـــفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي حســين الاكوع دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1989) ص 33.

(2) الحموي ، معجم البلدان ج2 ص347.

(3) ابن سعد: الطبقات، ج2 ، ص59؛ الطبري : تاريخ، ج3، ص559.

(4) مجنة : مر الظهران قرب جبل يقال له الاصـــفر وهو باســـفل مكة، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج7، ص209.

(5) مر الظهران: واد قرب مكة ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج6، ص282.

(6) ابن حبان: محمد ابن حبان بن احمد البســـتي، الثقات ، تحقيق شـــرف الدين احمد ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا مكان 1395هـ- 1975م) ج1 ص244.

(7) الواقـدي، فتوح الشـــام قـدم لـه عمر ابو النصـــر ، المكتبـة الأهليـة (بيروت 1969) ، ج1 ص9.

المناطق التي تصــاب بالجدب يهجرها سـكانها الى المناطق القريبة من الانهار، وربما يتوقف فيها القتال لان ذلك يتطلب توفير مواد غذائية وامدادات للجيش، حيث لا تستطيع المناطق المجدبة توفير ذلك.

وفي سنة 18هـــ-639م اصـاب الناس في المدينة المنورة والحجاز [1]مجاعة شـديدة [2]، وذلك بسـبب انحباس الامطار[3] وكانت الريح تسـفي ترابا كالرماد فسـمي عام الرماده [4].

ومن اثار القحط الذي اصــاب الانســان والحيوان في المدينة المنورة وما حولها من شدة الجوع " حتى جعلت الوحوش تأوي الى الانس وحتى الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وانه لمقفر" [5].

وقد تميزت اجراءات الدولة للحد من اثار المجاعة بعاملين اساسيين:

الاول : الاستغاثة بامراء الاجناد في الشام ومصر والعراق.

---

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضـــياء العمر، مط الآداب (النجف 1386هـ 1967م)، ج1 ص109؛ الســيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مط المدني، بلا مكان 1383هـ –1964، ص130 – 131.

(2) ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل، المختصـر في أخبار البشـر مط الحسـينية (بلا ت ومكان)، ج1 ص163؛ ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي مختصـــر التاريخ من اول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصـطفى جواد وضـع فهارسـه سالم الالوسـي، (مط بغداد 1390 هـ – 1970م) ص96 .

(3) ابن كثير: الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط5 تحقيق احمد ابو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت 1409هـ 1988م) ج7 ص92.

(4) الطبري، تاريخ، ج4 ص98؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص555؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ج4 ص419؛ محب الدين ابو العباس احمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذي القربى، تحقيق، شـعيب الارناؤوط، دار الكتب المصـرية (القاهرة 1407، 1986)، ج1 ص200 ؛ ابن الجوزي جمال الدين بن علي بن محمد ، المدهش ، تصـــحيح وتعليق الدكتور مروان قباني دار الكتب العلمية (بيروت بلا ت) ص70 .

(5) الطبري، تاريخ ج4 ص98؛ ابن الجوزي ، المدهش ص70 ؛ ابن الاثير ، الكامل ج2 ص555.

والثاني : صــلاة الاســتقســاء وكان الهدف من ذلك هو التخفيف من اثر المجاعة التي اصابت الناس في الحجاز [1].

فقد اســـتغاث الخليفة عمر بن الخطاب τ بامراء الاجناد وولات الانصـــــار وقال "اغيثوا اهل المدينة وما حولها" [2] فكان اول من قدم عليه القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح τ باربعة الاف راحلة من طعام فولاه الخليفة عمر τ قســـمتها في من حول المدينة المنورة [3].

وكتب الخليفة عمر τ الى والي مصر عمرو بن العاص τ يشكوا اليه قحط الحجاز وما بالمسلمين فيه من شـدة، فاجابه والي مصـر وقال "لامدنك بعير طعام اوله عندي وآخره عندك" [4] ، فاصبح سعر الطعام في المدينة المنورة كسعره في مصر [5]. ويذكر ابن كثير ان حالة القحط استمرت مدة تسعة اشهر [6].

اما الاجراء الثاني الذي قامت بهه الدولة فهو "صــلاة الاســتقســاء" للحد من آثار الجفاف.

ومعلوم انها من الاجراءات الاسـلامية المألوفة في هذه الأزمات إذ هي سـنّة عن النبي محمد ρ فقد استسقى عدة مرات [7] .

---

(1) ابن الوردي، زين الدين بن عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، ط2 مط الحيدرية (النجف 1969) ج1 ص198.

(2) الطبري، تاريخ، ج4 ص99؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص556.

(3) ابن الوردي، تأريخ ، ج1، ص198، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر ، ج1 ص163.

(4) القلقشــندي، احمد بن عبد الله، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبد الســتار احمد فراج، عالم الكتب (بيروت بلا ت) ج1 ص 91 – 92.

(5) القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، ج1 ص91-92.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص92.

(7) البخـاري ، أبي عبـد الله بن اســمـاعيـل بن ابراهيم ، صـــحيح البخـاري ، دار الفكر (بيروت بغداد 1986) ص288.

وقد صلى المسلمون صلاة الاستقساء في عام الرماده 18 هـ 639 اذ خرج عمر بن الخطاب τ بالمسلمين لاداء صلاة الاستقساء ومعه العباس بن عبد المطلب فصلى، وقال: "اللهم عجزت عنا انصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا انفسنا ولا حول ولا قوة الا بك، اللهم فاسقنا، وأحيي العباد والبلاد"[1].

وفي رواية اخرى انه τ اخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم النبي محمدρ وقال "اللهم اننا نتقرب اليك بعم نبيك ρ ، وبقية آبائه، واكبر رجاله، فانك تقول – وقولك الحق: **[وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ]** [2]، فحفظتهما بصلاح آبائهما ، فاحفظ اللهم نبيك ρ في عمه"[3].

(1) الطبري، تاريخ، ج4 ص99–100؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص557؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مط الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة 1975)، ج19 ص352.

(2) سورة الكهف، الآية 82.

(3) ابن الاثير، الكامل ج2 ص557، النويري، نهاية الارب، ج19 ص352.

وذكر ابن كثير: ان عمر بن الخطاب τ خرج يستسقي وخرج العباس معه فقال "اللهم انا كنا اذا قحطنا على عهد نبيك توسلنا اليك بنبينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا"[1] فما بلغوا المنزل راجعين حتى فاضت الغدران وفي هذا قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب.

بعمي سقى الله الحجاز واهله ... عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا ... اليه، فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه ... فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر[2]

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص94، شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة في اخبار المدينة الشريفة، (بيروت 1993) ج2 ص14.
(2) النويري، نهاية الارب، ج19 ص353

المبحـث الثـانـي

أثـــر الميـــاه

كان لمياه الآبار اثر في سير المعارك العسكرية التي وقعت في شبه الجزيرة العربية تلك البقعة التي تنعدم فيها مياه الانهار، اذ تكون الحاجة الى المياه بشـــكل كبير وذلك بسبب سقي الجند والخيل والابل، فضلاً عن ذلك ان السيطرة على مصادر المياه تعزز نتيجة المعركة لصالح الطرف المسيطر عليها وهذا ما حصل في غزوة بدر سنة 2هـ / 624م عندما تحرك الرســـولρ من المدينة إلى ارض المعركة [1]، متخذاً منزلا بعيدا عن الماء في بادئ الامر الا ان الرســـول محمد ρ لم يكن مطمئنا الى صـــلاح المكان لنزول جيش المسلمين ولذا استشار الرسول محمدρ الصحابة في الموضع الذي اختاره، فاشـــار عليه الحباب بن المنذر بن الجموح [2]، بعدم البقاء في الموضـــع الذي نزل فيه لبعده عن الماء إذ روي في ذلك قول رسـول الله محمدρ "اشـيروا علي في المنزل، فقال له الحباب بن المنذر بن الجموح يا رســـول الله أرايت هذا المنزل، امنزل انزلك الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ام هو الرأي والحرب والمكيدة، قال بل هو الراي والحرب والمكيدة قال : فان هذا ليس بمنزل ! انطلق بنا إلى ادنى ماء من القوم، فاني عليم بها

(1) ابن هشـام، السـيرة النبوية ، ج1 ص613 – 614؛ ابن سـعد، الطبقات ، ج2 ص 15 ؛ الطبري، تاريخ، ص433 – 435؛ الاصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسن ، الأغاني ، تحقيق سمير جابر (دار الفكر 1986 بلا مكان) ، ج4 ص187.

(2) الحباب بن المنذر بن الجموح: الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي ابو عمر وقيل ابو عمر وشهد بدر وكان يقال ذو الرأي، وهو القائل وليس المقاتل يوم الســـقيفة انا جديلها المحنك وعذيقها المرجب توفي في خلافة عمر بن الخطاب τ ابن عبد البر، الاســتيعاب في معرفة الاصـــحاب ، ج3 ص183، ابن الاثير، اســد الغابة في معرفة الصحابة، ج1 ص436.

وبقلبها [1] بها قليب قد عرفت عذوبة مائه، وماؤه كثير ل اينزح ثم نبني عليها حوضـــاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغور [2] ما سواها من القُلب" [3].

واخذ الرســول محمد ρ برأي الحباب بن المنذر، فضـــلاً عن ذلك ان هناك رواية لابن ســعد تذكر ان جبريل عليه الســلام بلغ الرســول ρ ان يأخذ برأي الحباب ففعل رسول اللهρ ذلك "الراي ما اشار به الحباب" [4]

ويصف الطبري، اجراءات الرسول ρ الفعلية بحسب ما جاء به جبريل عليه السلام وما أشـار به الحباب بن المنذر "فسـار حتى اتى ادنى ماء من القوم فنزل عليه ثم امر بالقلب فغُورت، وبنى حوضـــاً على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[5]". وقد حدد ابن كثير زمن نزول المســـلمين على البئر الذي يلي المشـــركين "بنصــف الليل وانهم نزلوا فيه واســتقوا منه وملئوا الحياض حتى اصــبحت ملئ وليس للمشــركين ماء" [6]. وقد حدد الطبري موقع البئر الذي نزل عليه الرســول محمد ρ حيـث قـال "والقلـب ببـدر فـي العـدوة الـدنيـا من بطـن يليـل [7] الـى المدينة" [8] وهو المكان الذي نزل فيه الرســـولρ فكان لتغوير الآبار اثر في ارباك

---

(1) القُلب : جمع قُليب – وهو البئر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ج1 ص123؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ص146.

(2) نغور : ذهاب الماء في الارض، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ج2 ص108.

(3) الواقدي ، المغازي ، ج1 ص53 – 54؛ ابن هشـام، السيرة النبوية، ج2 ص625؛ ابن سـعد ، الطبقات، ج2 ص15 ؛ الطبري ، تأريخ، ج2 ص440؛ ابن عبد الله البر، الدرر في اختصـــار المغازي والســير ص113، ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج2 ص122 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج3 ص266– 267؛ محمد ابو الفضـــل ابراهيم وآخرون، ايام العرب في الاســـلام، ط2، (بيروت 1961) ، ص16– 17؛ محمود شيت خطاب، الشورى العسكرية، مط المجمع العلمي العراقي 1990 ص25 – 26.

(4) ابن سعد، الطبقات، ج2، ص15.

(5) التأريخ ، ج2 ص440.

(6) البداية والنهاية، ج3 ص267.

(7) يليل: واد بين بدر وبين العقنقل، الكثيب: الذي خلفه قريش، والقليب في بدر في العدوة الدنيا من بطن يليل الى المدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج8 ص504 – 505.

(8) تاريخ، ج2 ص439.

قوات المشركين لما اصابهم من العطش بسبب سيطرة المسلمين على آبار المياه مما ادى الى اضطراب احوال المشركين وارباك صفوفهم كما وصفه الطبري قائلا. "وقد خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيئ الخلق، فقال : اعاهد الله لاشربن من حوضهم ولاهدمنه او لأموتن دونه فلما خرج، خرج له حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة، فاطنّ [1] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو اصحابه، ثم حبا الى الحوض ... واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض"[2].

ويقول ابن هشام إذ يقول "اقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض النبي محمد ρ فيهم حكيم بن حزام[3]، فقال رسول الله ρ: دعوهم فما شرب منه رجل الا قتل"[4].

ومن هذا نفهم ان اجراءات الرسول ρ منعت المشركين من الوصول الى آبار بدر والشرب منها والسيطرة عليها مما يثبت صحة استخدام الرسول ρ موارد الطبيعة في تحقيق النصر على الاعداء.

---

(1) أطنّ : قطعها ، الفيروز آبادي. القاموس المحيط ج4 ص247.

(2) الطبري، تاريخ، ج2 ص445؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص124؛ ابن حبان، الثقاة، ج1 ص166.

(3) حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى القريشي الاسدي، اسلم يوم الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن اسلامه وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف ذلك، عاش 120 سنة، توفي سنة 54هـ في ايام معاوية، وقبل سنة 58هـ، ابن الاثير: اسد الغابة، ج2، ص45.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية ج2 ص622.

المبحث الثالث

أثر التضاريس

الجبال: للتضاريس الارضية اثر على المعارك العسكرية، وخاصة المرتفعات ويظهر ذلك في بعض المعارك التي خاضها الرسول ρ ضد المشركين.

فقد اكد الهرثمي على اهمية الاستفادة من العوارض الطبيعية في المعركة فقال: "لا تنزلن من عدوك منزلا ابدا حتى تعرفه.... وتحر ان تسند ظهور اصحابك الى الجبال والتلول...."[1].

وقد استفاد المسلمون من طبيعة الارض في معاركهم ضد اعدائهم ويظهر ذلك واضحاً في غزوة بدر 2هـ /624م فقد قام المسلمون ببناء عريش للرسول محمدρ على مرتفع من الارض ليكون مشرفا على المعركة[2] ، وذلك من اجل السيطرة عليها من قبل الرسول ρ القائد الاعلى، ولابداء التوجيهات لان موقع القيادة المشرف ضروري لانه يعطي اشرافا جانبيا وبالعمق.

وفي غزوة احد سنة 3هـ /625م "ومضى رسول الله ρ حتى نزل بالشعب من احد في عدوة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى احد"[3]، إذ استفاد الرسول ρ من الطبيعة الجغرافية لمنطقة المعركة، وذلك باسناد ظهره وحمايته إلى المانع الطبيعي وهو الجبل وبنظرة فاحصة من لدن النبي محمد ρ احس بوجود خطر يدهم المسلمين يمكن ان يتلافاه قبل حدوث المعركة، ويكمن هذا الخطر في ذلك التل الصغير احد تلال احد المسمى جبل عينين، وذلك لانه مقطوع عن احد يسهل على العدو الالتفاف

---

(1) مختصر سياسة الحروب، ص31.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2 ص620 – 621.

(3) ابن اسحاق، محمد بن اسحاق، السير والمغازي، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر (بيروت 1398هـ –1978م) ص325. ابن القيم الجوزية محمد بن ابي بكر ايوب ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، ط14، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الاسلامية (بيروت، الكويت، 1407هـ – 1986م) ج2 ص194.

من خلفه، ولمواجهة هذا الخطر وضـــع النبيρ خطة محكمة بحيث لا تدع ثغرة في صفوف المسلمين، ولهذا كلف الرسول ρ خمسين من رماة السهام وامر عليهم عبد الله بن جبير[1] τ، فقال لهم "انضـــح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا او علينا، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك"[2].

كما أمر الرسـول محمد ρ الرماة بأن يرشـقوا خيل المشـركين بالسـهام فقال "وانما عليكم ان ترشـــقوا خليهم بالنبل وان الخيل لا تقدم على النبل"[3] ، لقد كانت اوامر النبيρ محددة وبشـــكل دقيق ومحتســـبا لما يفكر به العدو، اذ أحس بخطر خيل المشـــركين التي قد تأتي من جبل عينين، فحذر الرماة من مغبة ترك اماكنهم على الجبل مهما كانت الاســـباب وذلك لاهمية موقع الرماة الذي يشـــرف على المعركة، وفضلا عن ذلك فانه يحمي الجناح الايسر لقوات المسلمين من أي حركة التفاف العدو وراء خطوط المسلمين[4].

وفي رواية اخرى قال الرســول ρ "لا تبرحوا مكانكم ان رأيتم اننا قد هزمناهم فانا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم"[5] .

ويتضح مما تقدم ان للجبل اهمية كبيرة في حسم المعركة لأحد الفريقين ويظهر ذلك من خلال وصايا الرسول ρ للرماة الذين امرهم بعدم ترك مواقعهم من الجبل.

بدأت المعركة بالمبارزة جريا على العادة العربية، بعد ذلك التقى الجيشــــان، والمسلمون يصيحون صيحة الحق، حتى سالت الدماء على الصخور فانهزم المشركون

(1) عبد الله بن جبير: صحابي جليل شهد العقبة وبدر استشهد يوم احد ،ابن الاثير: اسد الغابة، ج3، ص194، الذهبي : تجريد اسماء الصحابة، ج1، ص201-202؛.

(2) ابن اسحاق، كتاب المغازي والسير، ص326؛ الواقدي، المغازي، ج2 ص224؛ ابن هشام السيرة النبوية، ج3 ص65 – 66؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص40.

(3) الحلبي ، السيرة الحلبية، ج2 ص29 -30

(4) سيف الدين سعيد ال يحيى، الحركات العسكرية في كفتي ميزان ، الدار العربية للموسوعات ط1 1973، ج1 ص220 – 221.

(5) الطبري، تاريخ ، ج2 ص509.

في الصفحة الاولى من القتال، ويصف ابن سعد هزيمة قريش بقوله "فلما قتل اصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتى اجهضوهم عن العسكر"[1].

وهنا حدثت الزلة الكبرى التي كانت سببا في ضياع النصر من ايدي المسلمين عندما ترك الرماة مواقعهم من الجبل فلم يبق الا دون العشرة مكانهم واميرهم عبد الله بن جبير[2] حيث انكشف جناح المسلمين، وكان خالد بن الوليد قائد فرسان المشركين يراقب الجبل الذي عليه الرماة مثمنا ومعظما حسن اختيار الرسول ρ لجبل الرماة، بتوزيع عدد من المقاتلة على الربوة وعندما شاهد نزول الرماة من اعلى الربوة سارع بخيله وفاجأ المسلمين من الخلف، ينظر الخريطة (1).

ويصف ابن الاثير عملية الالتفاف بقوله "فلما فارق الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة فحمل عليهم فقتلهم، وحمل على اصحاب النبي ρ من خلفهم فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم"[3].

---

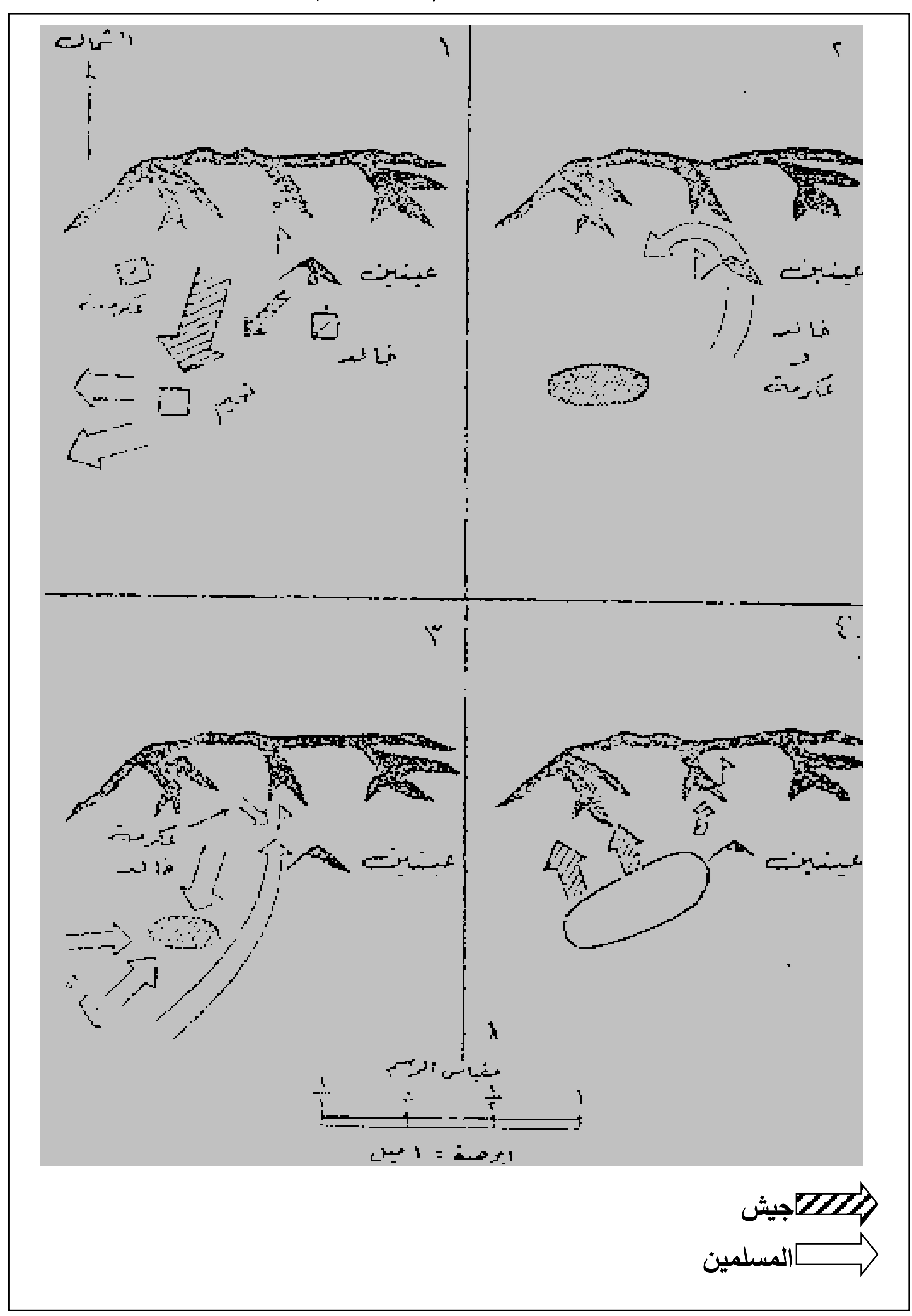
(1) الطبقات، ج2 ص41

(2) ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص41. ابن عبد البر ، الدرر، ج1 ص148

(3) الكامل ، ج2 ص154؛ احمد محمد باشميل، غزوة احد، قدم له محمود شيت خطاب، (مكة المكرمة 1964) ص 181 – 182.

الخريطة رقم (1)

معركة أحد (اثر الجبل)



استلت من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد

للجنرال أأ اكرم

وقد عالج الرسولρ الموقف بحكمة وشجاعة نادرة؛ وذلك لانه استعان مرة اخرى بالعامل الجغرافي في المنطقة وهو الجبل، إذ انسـحب بقواته إلى الشـعب باتجاه الجبل معتصـما بالصــخرة التي هي باعلى الجبل وهذا الموقع الجديد حال دون ملاحقة قوات المشـركين للرسـولρ باسـتثناء كتيبة الخيالة [1]، التي لم تتمكن مـــــن الاسـتمرار في الهجوم لعدم امكانية الخيل المشـي على الصـخور نحو القمة، فقال رسـول الله ρ "اللهم لا ينبغي ان يعلونا" [2] فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط من المســـــلمين حتى اهبطوهم من الجبل.

وفي غزوة الخندق[3] التي حدثت سنة 5هــــ 627 م علم الرسولρ بخروج جيش الاحزاب يروم المدينة المنورة للقضـــاء على المســلمين، وقد تشـــاور الرســول ρ مع الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) فاشار اليه سلمان الفارسي بحفر الخندق [4].

وبعد اســـتطلاع المكان كان اعجب المنازل اليه "ان يجعل ســلع [5] خلف ظهره ويخندق من المذاد [6] الى ذباب [7] الى راتج [8]" [9].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص86؛ الخضري بك، محاضرات، دار المعرفة بيروت (بلا ت) ص112.

(2)ابن هشام، السير النبوية، ج3 ص86.

(3) الحنبلي، شذرات الذهب ، ج1 ص11.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج3 ص224؛ ابن سعد، الطبقات، ج2 ص66؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج4 ص96؛ الحلبي، الســير الحلبية ج2 ص331؛ محمود شــيت خطاب، الشــورى العســكرية ، ص48؛ الخضري بك، محاضرات، ص119.

(5) سـلع : بفتح اوله وسـكون ثانيه، السـلوع شـقوق في الجبل، واحدها سـلع، وسـلع جبل في المدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج6 ص58.

(6) المذاد: المرتفع ، موضع بالمدينة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج7 ص232.

(7) ذباب: جبل بالمدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ص372.

(8) راتج: اطم من اطام اليهود بالمدينة وتسمى الناحية به، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج4 ص378.

(9) الواقدي، المغازي،ج2ص445-446؛ ابن ســـعد، الطبقات، ج2 ص66؛ الحلبي، الســـيرة الحلبية،ج2 ص331.

يعد حفر الخندق من الاعمال العســـكرية العظيمة التي خلدها التاريخ والتي فوجئ بها المشـــركون وعلى الرغم من ان حفر الخندق لم يشـــمل كل جهات المدينة المنورة وانما اقتصـــر على الجهة الشـمالية، ولكي نصـــل الى حقيقة ذلك التخطيط العسـكري علينا وصف المدينة المنورة من جهاتها الاربع، والمدينة كما سماها الرسولρ "طيبة في مستوى من الارض عذبة برية جبلية وذلك لان لها جبلين احدهما احد والاخر عير"(1) حيث يحدها من الجنوب جبل عير ومن الشمال جبل احد(2) ويحد المدينة من الشرق حرة واقم(3) ومن الغرب حرة الوبرة(4) ويحيط باكثرها بساتين ونخل وقرى(5).

وقد وزع الرسول ρ الحفر في الخندق على اصحابه الكرام (رضـي الله عنهم) وكان ذلك عاملا لتنافس المسلمين فيما بينهم من اجل الاسراع في انجاز هذه المهمة.

ويذكر ابن ســـعد ان الرســـول ρ قد وزع العمل بين المهاجرين والانصـــــار "فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج الى ذباب وكان الانصـــــار يحفرون من ذباب الى بني عبيد، وخندقت بنو دينار من عند جربا الى موضـــع دار ابن ابي، وفرغوا من حفره في ستة ايام"(6).

---

(1) ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر، الاعلاق النفيسة ، (طبع ليدن سنة 1891)، المجلد السابع ص312.
(2) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مط جامعة (الموصل 1991)، ص33.
(3) حرة واقم : اطم من اطام المدينة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج8 ص440.
والحرة : الارض ذات حجارة سود، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ج2 ص7.
(4) محمود الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص 130 — 131؛ أأ أكرم ، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، ترجمة صبحي الجابي، ط4 ، مؤسسة الرسالة (بيروت 1402هـ - 1982م)، ص78-79.
(5) المقدســي، ابو عبد الله محمد بن احمد البشــاري، احســن التقاســيم في معرفة الاقاليم، تحقيق الدكتور محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربي، (بيروت 1987). ص120 .
(6) الطبقات ، ج 2 ص66- 67.

وكما موضـــع في الخريطة (2) ان خندقة المســلمين في ارض مكشـوفة في الجهة الشمالية وسائر المدينة يعتبر حصنا مشبكا بالبنيان [1] وبالتضاريس الجغرافية وفضلا عن ذلك وجود الآطام والزروع.

والجدير بالذكر ان طول الخندق (12000) ذراع[2] وقد اشـــــترك في حفره ثلاثة آلاف مقاتل قسـموا على مجاميع كل عشـرة اشـخاص يحفرون اربعين ذراعا ويعد حفر هذا الخندق عملاً حربياً ضــــخماً انجز في فترة وجيزة وقد كان لحســـن تنظيم العمل ومواجهة الاعداء بهذا الاجراء اثره الحاسم في نتيجة المعركة [3].

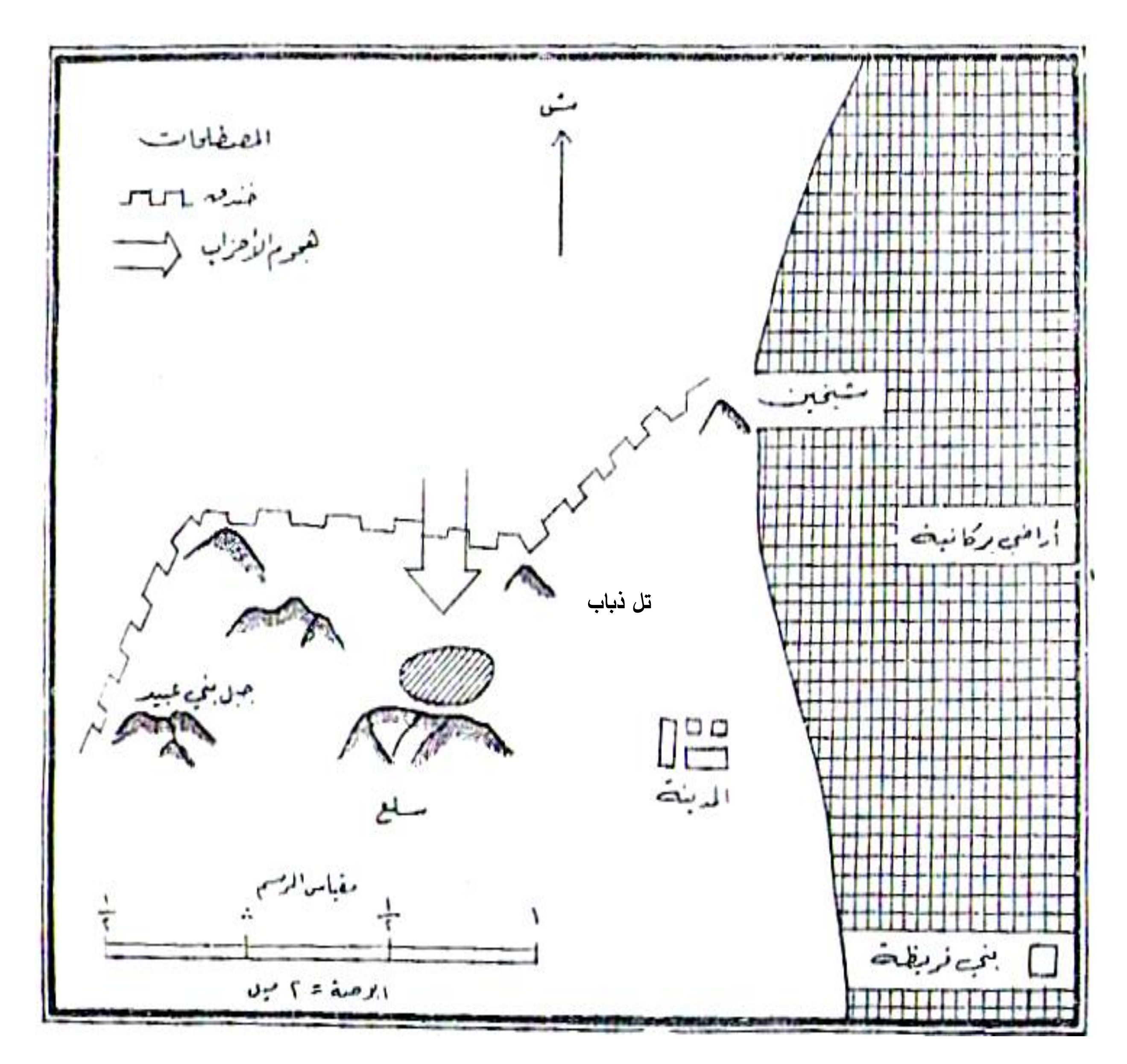
---

(1) ابن سـعد، الطبقات، ج2 ص66؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج4 ص96؛ الحلبي، السـيرة الحلبية ، ج2، ص336.

(2) الذراع يساوي 49 سم ينظر فالتر هنتس المقاييس والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، مط القوات المسلحة الاردنية (بلا ت) ص83 .

(3) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة (الكويت 1988) ص59.

الخريطة رقم (2)
غزوة الخندق



استلت من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد

للجنرال أأ اكرم

اقبلت قريش وزعيمها ابو ســـفيان فنزلت "بمجتمع الاســـيال من رومة [1]، بين الجرف وزغابه [2]، واقبلت غطفان، حتى نزلوا بذنب نقمى [3] الى جانب احد"[4].

اما المســـلمون فقد "جعلوا ظهورهم الى ســـلع، والخندق بينهم وبين القوم، وامر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام [5]" [6].

فالجبل يســـندهم من الخلف خشـــية مجيء منافقي المدينة واليهود والخندق يحول بينهم وبين الاعداء.

والذي يستخلص من غزوة الخندق ان النبيρ استفاد من جغرافية المدينة المنورة فلم يخندق من الجنوب لوجود جبل عير ولم يخندق من الشـــرق لوجود حرة واقم وجبل بني عبيد وانما اكتفى بالمنطقة الشـــمالية لانها كما ذكرنا منطقة مكشـــوفة تســـمح لجيش الاحزاب بدخول المدينة، الا ان النبي محمدρ افاد من جبل ســـلع الذي يواجه منطقة الخندق فنزل في السـفح جاعلا منه درعا لظهور المسـلمين اذ تميز ذلك الجبل بارتفاع يبلغ 400 قدم [7] وطول ميل واحد وهو يمتد من الشمال الى الجنوب وبه نتوءات في

(1) رومة: ارض بالمدينة بين الجرف وزغابه نزلها المشـركون ايام الخندق ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج4 ص448.

(2) زغابه : بضـم الزاي وعين مهملة، قال ابن اسحق لما فرغ رسـول الله ρ من حفر الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال بين الجرف وزغابه : معجم البلدان ، ج4 ص476.

(3) نقمى : موقع من اعراض المدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج8 ص339.

(4) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3 ص217-218؛ الطبري ، تأريخ ، ج2 ص570؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج4 ص104.

(5) الاطام : مفردها اطم، حصـــن مبني بحجارة : الفيروز آبادي، القاموس المجيط ، ج4 ص76، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج1 ص177.

(6) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3 ص220؛ الطبري ، تأريخ ، ج2 ص570؛ ابن الاثير ، الكامل، ج2 ص180؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج4 ص104.

(7) أأ كرام، ص78؛ محمود الدرة ، تاريخ العرب العسكري ، ص130-134

جميع الاتجاهات اضافة الى ذلك ان تل ذباب[1] يقع شمال شرق جبل سلع مما يجعل جانب المسلمين اكثر رصانة لنزولهم بين ثلاثة مرتفعات وهي سلع خلف ظهورهم وضباب عن يمينهم وجبل بني عبيد عن يسارهم.

وعلى الرغم من ان حصار المدينة قد دام اكثر من عشرين ليلة، الا ان جيش الاحزاب لم يستطيع تحقيق اي تقدم، وذلك ان الرسول ρ كان رأيه صائبا باختيار وتحديد ارض المعركة فكان عاملاً في تحقيق النصر لحسن اختياره موضع الخندق.

على الرغم من ان المصادر سجلت عددا من المعارك التي اعتصم فيها العدو بالجبال وبطون الاودية، الا انها لم تذكر شيئا عن نتائج المعركة. ولعل ذلك يعود إلى الجبل نفسه إذ انه حالَ دون وقوع المعركة باتخاذه موئلاً للفرار.

وفي سنة 3 هـ / 624م غزا الرسول ρ غطفان بذي امر وعندما سمعوا بقدوم رسول الله ρ هربوا الى رؤوس الجبال[2].

وفي سنة 3هـ / 625م علم الرسول محمد ρ ان انمارا وثعلبة قد اجمعوا على حربه فمضى حتى اتى ديارهم في ذات الرقاع[3] فلم يجد احدا، لأنهم هربوا الى رؤوس الجبال[4]، لقد اثبتت هذه الغزوة ضعف الاعداء وعدم قدرتهم على مواجهة المسلمين بقيادة الرسول محمد ρ ، فقد هربوا الى رؤوس الجبال للاحتماء بها[5]

---

(1) الأصفهاني: الحسن بن عبد الله ، بلاد العرب، تحقيق صالح احمد العلي وآخرون، (الرياض 1968) ، ص35-36.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص320؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج2 ص142 ؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، ج1 ص346.

(3) ذات الرقاع: جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض، وقد سميت الغزوة بذات الرقاع ابن سعد، ج2ص61.

(4) الواقدي، المغازي،ج1ص396؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص61؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص214.

(5) مروان اسود حمد ، تدابير الرسول ρ في شمال المدينة ، رسالة ماجستير غير منشور مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد (1411هـ 1990م) ص151.

وفي سنة 6هـ /627م غزا رسول الله ρ بني لُحيان واظهر الرسول ρ انه يريد الشام ليصـــيب من القوم غرة فاســرع الســير حتى نزل على غران[1] وهي منازل بنو لحيان، فوجدهم قد تمنعوا في رؤوس الجبال[2].

وفي سنة 6هـ / 627 م ارسل الرسول محمد ρ ابا عبيدة عامر بن الجراح الى ذي القصة فساروا ليلتهم، فاغاروا عليهم مع الفجر، فاعجزوهم هربا في الجبال[3].

وفي سنة 7 هـ / 628م ارسل رسول الله ρ ابا بكر الصديقτ إلى بني كلاب بنجد واغاروا عليهم بعد صلاة الصبح فقتل من قتل وهرب الباقون إلى الجبل للاحتماء بها[4] .

ويروى ابن سـعد عن سـلامة بن الاكوع الذي كان احد افراد السـرية انه قال "فرأيت عنقاً من الناس فيهم الذراري، فخشـيت ان يسـبقوني الى الجبل فادركتهم فرميت بسـهم بينهم وبين الجبل....فجئت اسوقهم الى ابي بكر τ "[5].

ونخلص مما تقدم إلى ان الجبال تعد وســـائل طبيعية يمكن الاحتماء بها والالتجاء اليها عند الضرورة وان من الصعب على سرايا رسول ρ ولاسيما المكلفة بواجبات محددة ان تتعقب اولئك الفارين في رؤوس الجبال لما يتطلبه ذلك من وقت وجهد وقوة.

2 ـ الـوديـان.

للوديان تأثير على الحركات العسكرية، وينحصـر هذا التأثير بطول الوادي وقصـره وفي عرضـــه وضـــيقه وفي عمقه وفي وجود الغابات فيه وعدمها، وكذلك طبيعة ارض

---

(1) غران : منازل بني لحيان وهو واد بين امج وعسفان، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج6 ص280.

(2) الواقدي ، المغازي ، ج2 ص536 – 537،؛ ابن هشـام ، السـيرة النبوية ، ج3 ص80؛ ابن سـعد ، الطبقات، ج2 ص79 ؛ الطبري ، تأريخ ، ج2 ص595؛ المســعودي، التنبيه والاشـراف ، ص218؛ ابن الاثير ، الكـامـل،ج2 ص188؛ ابن كثير، البـدايـة والنهـايـة، ج4 ص83؛الســـهيلي، الروض الأنف،ج6 ص365–366.

(3) ابن سعد، الطبقات ، ج2 ص86؛ الطبري ، تأريخ، ج2 ص641.

(4) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص118، والطبري، تأريخ، ج2 ص641.

(5) الطبقات، ج2 ص118؛ الطبري ، تاريخ، ج2 ص644.

الوادي سواء اكانت رملية ام طينية ام صخرية فانها تؤثر على الحركات العسكرية[1] ، ففي غزوة بدر كان للوادي اثر على المعركة بسبب طبيعة ارض الوادي اذ كانت رملية، فلما سقطت الامطار في الليلة التي حدثت فيها المعركة اذ يقول الواقدي "وبعث الله السماء، وكان الوادي دهسا، فاصابنا ما لبد الارض ولم يمنعنا من المسير واصاب قريشا ما لم يقدروا ان يرتحلوا فيه، وانما بينهم قوز من رمل"[2].

وفي صباح يوم المعركة تقدمت قريش عبر الوادي، وهم يخوضون الكثبان الرملية حتى تقطعت انفاسهم وذلك ان ارض الوادي اصبحت موحلة تسوخ فيها الاقدام والحوافر، في حين نجد المسلمين ثابتين في مواقعهم محافظين على قوتهم وذلك لأن الأرض قد تلبدت بفعل السماء لكونها رملية أما قريش فقد وصلت ارض المعركة مرهقة[3].

وفي سنة 8هـ /629م ارسل النبي محمد ρ غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بوادي الكديد فنزلوا بعد الغروب، وقد كمنوا في ناحية الوادي حتى الفجر، ويروي جندب بن مكيث ذلك فيقول "فامهلناهم حتى راحت رائحتهم، حتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة الليل شننا عليهم الغارة"[4]، فكان الوادي مساعداً لأخذ الأعداء غفلة لأنه يساعد على الاختباء. وفي سنة 8هـ / 629م ايضا غزا رسول اللهρ هوازن بحُنين[5]، فاجتمعت هوازن وثقيف على مالك بن عوف النظري[6]، يريدون القتال، وفيهم دريد بن الصمة فقال بأي واد انتم؟ قالوا

---

(1) محمد شاكر ، الجغرافيا العسكرية ، كتاب منهجي لطلاب الكلية العسكرية ، ص104-105.

(2) الواقدي، المغازي، ج1 ص54؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص15؛ الطبري، تاريخ، ج2 ص455.

(3) كلوب، الفتوحات العربية الكبرى ص98.

(4) الطبري، تاريخ، ج3ص28 ؛ ابن سعد، الطبقات، ج2ص125؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص 229-230.

(5) حنين:واد الى جانب ذي المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال : المسعودي التنبيه والاشراف ص214.

(6) مالك بن عوف النظري: مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يابوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهو الذي باغت جيش المسلمين في وادي حنين ، اسلم واحسن اسلامه

باوطاس[1] قال "نعم مجال الخيل : لا حزن[2] ضـرس[3] ولا سـهل دهس"[4]، وكان ابن الصمة يعرف أثر طبيعة أرض الوادي في حسم المعركة لما فيه من الشعاب والمضايق التي تساعد على اخفاء المقاتلة فيه.

ويصـف ابن هشـام عن ابن اسـحاق عن جابر بن عبدالله وادي حنين قائلاً "لما اسـتقبلنا وادي حنين، انحدرنا في واد من اودية تهامة اجوف حطوط[5]، وانما انحدرنا فيه انحدارا"[6] وصل المسلمون إلى وادي حنين عند الفجر وقد سبقهم العدو بالوصول إلى أرض المعركة "فكمنوا لنا بشـعابه وأحنائه ومضـايقه وقد اجتمعوا وتهيئوا وأعدوا...".[7] ويذكر أن مالك بن عوف علم عن طريق عيونه بخروج الرسول محمد ρ فلما كان من الليل حرك مالك جيشه إلى وادي حنين فوزع قواته على مضايقه وشعابه وأحنائه فكمنوا للمسلمين فيه[8]. فلما قدم المسلمون لعبور مضيق حنين عند الفجر ولم يعلموا بكمون العدو فيه، استقبلتهم هوازن من مضـايق الوادي وشـعابه بالكتائب حملة رجل واحد، انكشفت خيل سليم مولية[9].

شـهد فتح دمشـق والقادسـية ؛ ابن الاثير : اسـد الغابة، ج5، ص42-43 ؛ الذهبي : تجريد اسـماء الصحابة، ج2، ص47.

(1) اوطاس : واد في ديار هوازن فيه وقعة حنين : ياقوت الحموي، معجم البلدان ج1 ص224.

(2) حزن : ما تخلط من الارض، الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج4 ص215.

(3) ضرس : حرة مغروسة فيها حجارة الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، ج2 ص233.

(4) الواقدي،المغازي،ج3ص886-887؛ابن هشام،السيرة النبوية،ج4ص438؛ الطبري،تاريخ،ج3ص71.

(5) حطوط : منحدر شديد الانحدار، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2 ص367.

(6) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج4 ص442. ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد، ج2 ص468.

(7) ابن هشام ، السرية النبوية، ج4 ص442-443 ؛ الطبري، التاريخ، ج3، ص74؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص263.

(8) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص150.

(9) الطبري ، تأريخ، ج3 ص74. ابن الاثير ج2 ص263.

ووصف الطبري عن جابر بن عبدالله خسارة مقدمة المسلمون بقوله "فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شـــدت علينا شـــدة رجل واحد، وانهزم الناس اجمعون، فانشمروا لا يلوي احد على احد"[1].

(1) الطبري ، تأريخ، ج3 ص74. ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ج2 ص469.

فلما رأى الرســـول ρ ما حل بالمقدمة انحاز ذات اليمين مع اصـــحابه في بروز صـخري[1] ثم نظر الى المنطقة من وادي حنين، فاستبشـر خيرا وقرر ان لا يدع مالكاً يذهب بهذا النصر، الذي باغت فيه المسلمين بالكمون ببطن وادي حنين.

بدأ المسلمون بالتجمع على اثر نداء العباس عم النبي محمد ρ في المعركة فاجابه المسلمون لبيك لبيك، حتى اذا بلغ عدد المسلمين مائة شن هجوما معاكسا على العدو، وقد دارت رحى المعركة حتى قال الرسول ρ "لقد حمي الوطيس"[2].

وهنا يتضـــح ان هزيمة المســـلمين في بادئ الامر كانت بســـبب كمون الاعداء في وادي حنين، ثم تدارك الرســـول ρ الامر بالصـــعود الى احدى جنبات الوادي، ليكون مشـرفا على المعركة، وشـن هجوما على الاعداء وحقق النصـر باذن الله تعالى، ينظر الخريطة (3)

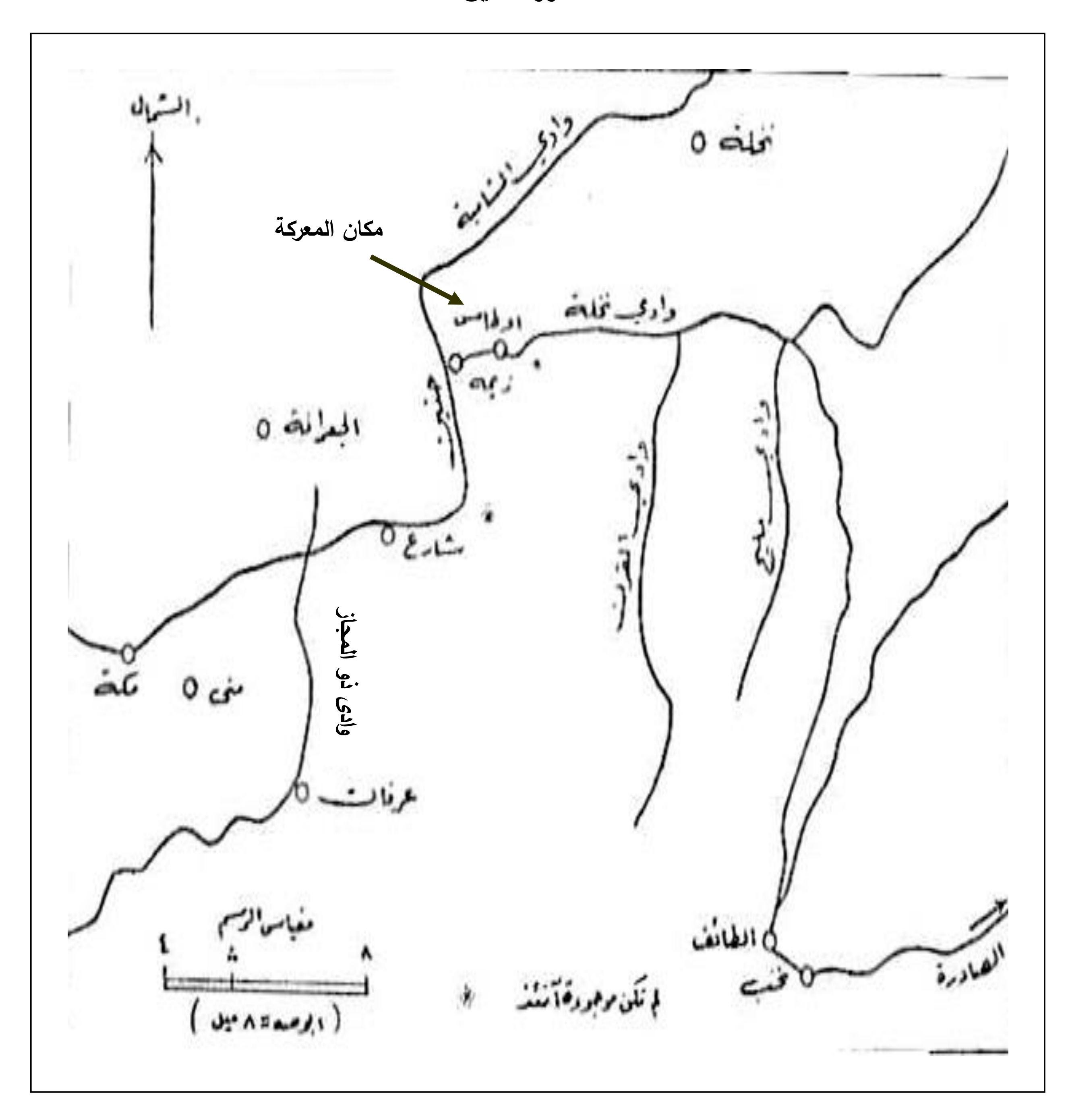
---

(1) أأ أ اكرم ، سيف الله خالد بن الوليد، ص127 – 128.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج3 ص445 ؛ الطبري ، تاريخ، ج3 ص75.

خريطة رقم (3)

غزوة حنين



الفصل الثـانــي

أثر العوامل الجغرافية في جبهة العراق والمشرق

المبحث الاول

أثـــر العوامـل المنـاخيــة

1 ـ الامطـار:

على الرغم مما تتمتع به مياه الامطار من محاسـن إلا انها قد تترك آثاراً سـلبية أو ايجابية على سـير المعارك ففي معركة ذات السـلاسـل[1] التي وقعت سـنة 12هـ/ 633م بين قوات المسـلمين بقيادة القائد خالد بن الوليدτ وبين الفرس بقيادة هرمز[2]، وكانت هذه الوقعة في أرض فلاة، قد سـبق هرمز فيها العرب المسـلمين في اختيار ارض المعركة فتمت له السـيطرة على آبار المياه في كاظمة[3] اما العرب فقد نزلوا على "غير ماء"[4].

ولما رأى القائد خالد بن الوليدτ سَـبق العدو والسـيطرة على آبار المياه التي تعد عصب القتال وخصوصا ان المنطقة التي وقعت فيها المعركة هي صحراء مقفرة، لذا

(1) ذات السلاسل، نسبة إلى السلاسل التي غنمها المسلمون من الفرس في هذه المعركة، الطبري، تأريخ ، ج3 ص349؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص385، د. هاشـم يحيى، الوسـيط في السـيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص355

(2) الطبري، تـاريخ، ج3ص348؛ ابن الاثير، الكـامـل، ج2 ص385؛ ابن كثير، البـدايـة والنهـايـة، ج6 ص349.

(3) كاظمة : تقع على البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان، وتشير الدراسات الحديثة بأن موقع كاظمة شـمال مدينة الكويت الحالية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7 ص114؛ أ أكرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، ص251.

(4) الطبري ، تأريخ ، ج3 ص349.

القى القائد خالد بن الوليد خطاباً في جنوده يحثهم على التضـــحية والفداء من اجل الحصـــول على مصـــادر المياه، وفي هذه الاثناء ارســـل الله عزّ وجلّ على عباده المجاهدين المطر وقد تزامن نزوله مع بدء القتال حيث ذكر الطبري ذلك بقوله "وارسل الله سحابة فاغزرت ما وراء صف المسلمين فقواهم بها...."[1] فكانت هذه السحابة عونا للمســلمين الذين نزلوا على غير ماء على اعدائهم الفرس، فاقترن النصــر في هذه المعركة بنزول ماء المطر الذي ساعد المسلمين وشد أزرهم في القتال، والحاق الهزيمة بالقوات الفارسية وقتل قائدها هرمز [2].

وفي معركة القادسية سنة 15هـــ[3]/636م كان هناك اثر لمياه الامطار على سير المعركة بين الطرفين المتحاربين، إذ كان وصـــول القائد ســـعد بن ابي وقاصτ إلى زرود[4] في اول الشتاء سبباً لتوقف القتال[5].

ففي شـراف[6] تجمع الجند الى القائد سـعدτ وتوالى عند ذلك سقوط الامطار، ونقل ذلك بن اعثم بقوله "فالتأمت العسـاكر الى سـعد في جمع عظيم وقد هجم عليه الشـتاء واكبت عليه الامطار"[7]، وعندما انتهى فصـل الشـتاء وتوقفت الامطار عن السـقوط، قال كسـرى لرسـتم "ان الشـتاء قد انحسـر عنا وعن هؤلاء القوم والارض قد اعشـبت

(1) الطبري ، تاريخ، ج3 ص349.
(2) رباب جبار طاهر ، جبهة البصـرة، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة مقدمة الى كلية الاداب/ جامعة البصرة، (1409هـ-1989م) ص51.
(3) خليفة بن خياط، تاريخ بن خياط، ج1 ص101 – 102 ؛ هاشـم يحيى، الوسـيط في السـيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص366.
(4) زرود : بين الثعلبية والخزيمية على طريق الحاج، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج4 ص474.
(5) الطبري، تاريخ، ج3 ص486.
(6) شـراف : بين واقصـة والفرعاء على ثمانية اميال من الاحسـاء، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج5 ص131.
(7) ابن اعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم، الفتوح، دائرة المعارف العثمانية (الهند 1968)، ج1 ص174.

والاشـجار قد اينعت، فسـر اليهم بخيلك ورجلك وجاهدهم ابدا حتى تردهم على ادبارهم من حيث جاءونا"[1].

ومما تقدم يبدو ان لسقوط الامطار وطبيعة الارض والبرد في فصل الشتاء أثر في توقف العمليات العسـكرية ، وعند الربيع تبدأ العمليات العسـكرية سـيرها بعد أن تنمو الحشائش بفعل الأمطار فتكون غذاءً جيدا للحيوانات فضلاً عن ذلك اعتدال الجو الذي يساعد المقاتلة على القتال.

2 ـ البرد والدمق:

كان للبرد اثر في معارك المسـلمين في العراق والمشـرق وذلك لأنهم لم يألفوا هذه الطبيعة ولم يعتادوا على القر الشـديد فكانوا يكابدون ذلك في الحروب ويصـابرون من أجل الفتح فكان البرد في صالح الأعداء دائماً ومن الامثلة على ذلك.

ويظهر تـأثير البرد في جيش مجاشـــع بن مســـعود[2] عنـدمـا ارســـلـه عبد الله بن عـامر[3] للقضـــــاء على ملـك الفرس (يزدجرد)[4] وعنـد وصـــولـه الى

(1) ابن اعتيم، الفتوح، ج1 ص200.

(2) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن عائذ بن ربيعة له صحبة، غزا كابل في الهند، قال خليفة ابن خياط قتل يوم الجمل والمداني يقول قتل في قتال ابن الزبير اثناء سـيطرته على البصـرة، ابن الاثير: اسد الغابة، ج2،ص60-61، ابن حجر ، الاصابة ، ج3 ص362.

(3) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شـمس بن عبد مناق بن قصـي القريشـي وهو ابن خال عثمان بن عفان τ ، ولد على هد النبي ρ واتى به النبي ρ وهو صـــغير فقال هذا يشـــبهنا وجعل يتفل عليه ويعوذه، فجعل عبد الله يبتلع ريق رسول الله ρ فقال عنه الرسول ρ انه لمسقى فكان لا يعالج ارضـا الا ظهر له الماء، استعمله عثمان بن عفان τ على البصـرة سنة 29هـــ – بعد ابي موسـى الاشـعري وولاه بلاد فارس، افتتح خراسـان كلها واطراف فارس وسـجستان، وكرمان ، توفي ابن عامر سنة سبع او ثمان وخمسين. ابن عبد البر ، الاستيعاب، ج2 ص359-360. ابن الاثير ، اسد الغابة، ج3 ص288-289.

(4) سمير صـالح ، عثمان بن عفان، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد (1411هـ-1990م) ص136.

بيمند[1] وهو الذي يقال له قصر مجاشع اصابهم البرد والثلج والدمق[2].

فقد وصـــف البلاذري ذلك بقوله "فاصـــاب الناس الدمق وهلك جيشـــه فلم ينج الا القليل"[3].

اما الطبري فقد : اضـاف على رواية البلاذري عوامل جغرافية اخرى تزامنت في آن واحد مما زاد آذى الجيش وهلاكه وقال "اصـابهم الثلج والدمق، فوقع الثلج، واشـتد البرد وصار الثلج قامة رمح، فهلك الجند وسلم مجاشع...."[4].

وفي سـنة 32 هــــ / 652م حاصـر المسـلمون مدينة خوارزم[5]، وقد هجم عليهم الشـتاء فادى ذلك بالاحنف بن قيس[6] ان يرجع إلى بلخ لقضـاء فصـل الشـتاء[7]، ثم مواصـلة عملياته العسكرية في بداية الربيع، ويبدو ان عوامل المناخ لها اثر كبير على سـير معارك الفتوح ومن ثم تؤدي إلى شـل حركة الجيش بسـبب برودة الشـتاء وسـقوط الامطار.

---

(1) بيمند : بلد بكرمان، وقيل بفارس، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2 ص419 .

(2) الدمق: ريح وثلج، الفيروز آبادي، القاموس، ج3 ص240.

(3) البلاذري، أبو الحســن أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان، تحقيق صــلاح الدين المنجد ، مط النهضــة المصرية (القاهرة بلا ت)، ج2 ص387.

(4) الطبري، تاريخ، ج4 ص286؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص420.

(5) خوارزم: من بلاد خراســـان، ياقوت الحموي، ج4 ص225؛ الحميري، محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس،ط2، مكتبة(لبنان 1948)، ص224-225.

(6) الاحنف بن قيس ، والاحنف لقبه واسـمه الضـحاك وقيل صـخر بن قيس بن ومعاوية بن حصـين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن ســعد بن زيد التميمي الســعدي، ادرك النبي ρ ولم يره ودعا لـه النبي ρ فلهذا ذكروه. اســلم في زمنـه وكـان الاحنف بن قيس من الحكماء والعقلاء ويعد من كبار التابعين في البصرة ، توفي سنة 67هــــ في الكوفة؛ ابن الاثير: اسد الغابة، ج1، ص68-69 ؛ الذهبي: تجريد اسماء الصحابة، ج1،ص10.

(7) الطبري، تاريخ، ج4 ص313.

3 ـ اتجـاه الريـح والشمـس:

حرص المقاتلة العرب المســـلمون على ان تكون الريح واتجاه الشـــمس من خلف ظهورهم ففي معركة القادسـية سـنة 15هـــ /636م كان مهب الريح من وراء ظهور المســـلمين وفي وجوه الفرس وهذا التوقيت يدل على فطنـة القائـد ســـعد بن ابي وقاص τ وخبرته العسكرية الفذة في استثمار الظروف الطبيعية لصالح المعركة وبذلك نجد ان القائد سعد بن ابي وقاص قد اقتدى بسنة الرسول ρ في هذا الجانب، فقد ذكر الطبري ذلك بقوله "وهبت ريح عاصفة فقلعت طيارة رستم عن سريره، فهوت في العتيق وهي دبور "[1].

فكان الغبار والاتربة في وجوه الفرس، وربما كان لها الاثر الاكبر في التأثير على نفســية المقاتل الفارســي واضــعاف معنوياته مما يؤدي إلى تعزيز النصــر لصــالح المسلمين.

اما اتجاه الشـــمس فقد كان في اعين العدو، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بموقع القوات العربية الإسلامية، وكما هو موضح في الخريطة رقم (4).

إذ نجد ان اتجاه قوات المســـلمين الى الجنوب والجنوب الغربي[2]، وبذلك تكون الشـمس في اعين العدو من الصـباح وحتى بعد منتصـف النهار وبطبيعة الحال تكون الشـــمس خلف قوات المســـلمين وفي ظهورهم، وهذا يؤثر في دقة الرؤيا ودقة تحديد الهدف ومن ثم التأثير على دقة إصابة الرماة لاهدافهم.

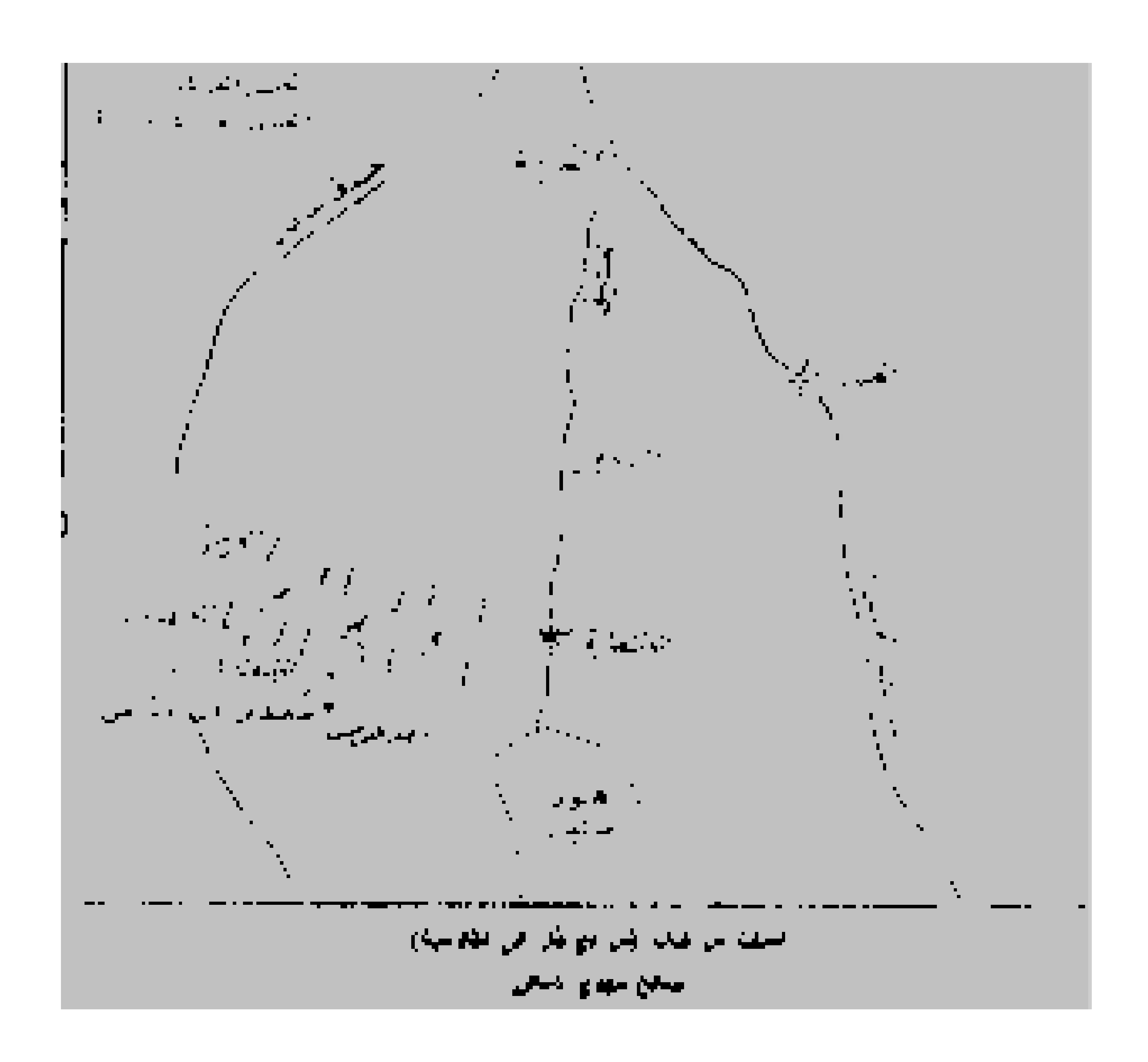
---

(1) تاريخ، ج3 ص564؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص481ج النويري، نهاية الارب، ج19 ص214 ؛ كمال، احمد عادل، استراتيجية الفتوحات الاسلامية القادسية، دار النفائس (بيروت 1981)، ص237.

(2) احمد كمال عادل ، القادسية، ص236.

خريطة رقم (4)

موقع القوات العربية في معركة القادسية



وفي معركة جلولاء[1] سنة 16هـ / 637م كان للريح اثر على جند الفرس، وقد وصف الطبري ذلك بقوله "وبعث الله عليهم ريحا اظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا الا المحاجزة، فتهافت فرسانهم في الخندق...."[2] فاظلام كان بسبب ما تحمله الريح من غبار واتربة حجبت ضوء الشمس ولانعدام الرؤيا ولشدة ما اصاب الفرس من هذه الظلمة جعلت فرسانهم يسقطون في الخندق وربما ساهمت وهذه الريح في اضعاف مقاومة الفرس وتحقيق النصر للمسلمين.

4 – اثر المناخ في اختيار موقع المعسكرات الإسلامية:

لم يغفل المسلمون طبيعة الموقع الجغرافي والمناخ في اختيار موقع او مكان المعسكرات الاسلامية التي شيدوها، وقد تزامن انشاؤها مع بدء الفتوحات العربية الاسلامية، وذلك لنشر الدين الاسلامي وتحرير الارض العربية ومن الامثلة على ذلك معسكرا البصرة والكوفة، التان أصبحتا فيما بعد قاعدتين عسكريتين لانطلاق الجيوش لفتح المشرق ونشر راية الاسلام في البلاد المفتوحة.

---

(1) جلولاء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان بينهما وبين خانقين سبعة فراسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج3 ص71.

(2) تاريخ ، ج4 ص25؛ احمد كمال عادل، القادسية، ص74 –75.

أ. معسكر البصـرة[1]:

اتخذت البصرة كمعسكر عندما أرسل الخليفة عمر بن الخطاب τ عتبـــة بـــن غزوانτ[2] سنة 14هـ /635م [3] وقال له "صر الى ناحية البصرة واشغل من هناك من اهل الاحواز وفارس وميسان عن امداد اخوانهم على اخوانك"[4]

وفي رواية الطبري التي تشـــابه من حيث المعنى رواية البلاذري، قال عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان "قد فتح الله عز وجل على اخوانكم الحيرة وما حولها، وقتل عظيم من عظمائها ولست آمن ان يمدهم اخوانهم من اهل فارس، فاني اريد ان اوجهك الى ارض الهند لتمنع اهل تلك الجيزة من امداد اخوانهم على اخوانكم، وتقاتلهم لعل الله

---

(1) البصـرة : مصـرت البصـرة كمعسكر عندما ارسل الخليفة عمر بن الخطاب τ الى عتبة بن غزوان سنة 14 هـــ واختطها، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج2 ص342 ؛ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان تصحيح رينود البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية (باريس 1840)، ص308، الحميري، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطـار في خبر الاقطـار، تحقيق د. احسان عباس ، (بيروت، 1984)، ص105.

(2) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نســـيب بن زيد بن مالك بن حارث يكنى ابا عبد الله وقيل ابو غزوان وهو حليف بنو نوفل بن عبد مناف بن قصي وهو سابع سبعة في الاسلام، هاجر الى الحبشة وهو ابن اربعين سـنة ثم عاد الى رسـول الله ρ وهو بمكة فاقام معه حتى هاجر الى المدينة وكان من السابقين ، شـهد بدر والمشاهد مع رسول الله ρ وارسله عمر بن الخطاب τ الى ارض البصـرة ليقاتل من بالابلة فسار وافتتح الابلة واختط البصرة وهو او من نصرها وعمرها ، فتح دست ميسان وغنم ما فيها، توفي بالربذة سنة سبع عشر وقيل سنة خمس عشر وهو ابن سبع وخمسين سنة ؛ ابن الاثير، اسد الغابة ص565–566 ؛ الذهبي، تجريد اسماء الصـحابة، ج1 ص371. ، ابن حجر، الاصـابة ج2 ص445.

(3) خليفة بن خياط، تاريخ بن خياط، ج1 ص96؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشـــدون دار الكتب العلمية (بيروت 1399 هـ 1979م)، ص179.

(4) البلاذري، فتوح ، ج2 ص419.

يفتح عليكم"[1]، فنزل الخريبه[2] والســـبب في ذلك يعود الى موقعها على طرف الصحراء الذي يشكل اكثر امانا للجيش[3].

وكتب عتبة بن غزوان τ يعلم الخليفة τ بنزوله فيها وانه "لابد للمسـلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم" [4]. فاجابه الخليفة عمر بن الخطاب τ "بان يختار موقعا قريبا من الماء والمرعى"[5] وبعد ان اختار عتبة المكان الملائم الذي يرغب فيه الخليفة τ كتب اليه وقال "وجدت ارضا كثيرة القصب في طرف البر الى الريف دونها مناقع الماء وفيها قصباء"[6] ولما وصلت رسالة عتبة في وصف المنطقة الى عمر قال "هذه ارض بصـرة قريبة من المشـارب والمراعي والمحتطب"[7] من المؤكد ان الخليفة عمر τ ادرك اهمية موقع البصرة العسكري، وذلك لقربها من الماء والمراعي والوقوف في طرف البر قريباً من الريف، فضـلاً عن ذلك انه لا توجد حواجز طبيعية تفصل بينها وبين مركز الخلافة[8] (المدينة المنورة) وهذا يسهل وصول الامداد والتموين عند الحاجة، أما حدود المدينة[9] فانه يحيط بها من جهة الشرق شط العرب ومن الجنوب الخليج العربي ومن الغرب الصـــحراء التي يلجأ اليها العرب اذا ما افلح

---

(1) الطبري ، تاريخ، ج3 ص590 – 591.

(2) الخريبة: موضع بالبصرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج3 ص228.

(3) صالح احمد العلي ، خطط البصرة ومنطقتها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1981، ص46.

(4) البلاذري، فتوح، ج2 ص425؛ العلي، صالح احمد، خطط البصرة، ص46.

(5) البلاذري، فتوح، ج2 ص425؛ الطبري، تاريخ ج3 ص591؛ العميد، طاهر مظفر خطط المدن العربية الاسلامية مطبعة جامعة (بغداد 1986)، ص210.

(6) البلاذري، فتوح، ج2 ص425.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2 ص342.

(8) امل عبد الحسين عباس، الابلة في العصر الاسلامي حتى 257هـ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد، (1976) ص55.

(9) عبد القادر سليمان المعاضيدي، بناء المعسكرات الاسلامية، بحث في كتاب الجيش والسلاح (بغداد 1988) ، ج3 ص256.

اعداؤهم في مناجزتهم من ان يحموا ظهورهم بالصـــحراء، ويتخذوا منها خطاً لرجعتهم عند اشتباكم مع العدو لأنهم يعرفون مسالكها [1] .

ب. معسكر الكـوفـــة:

بعد الانتهاء من فتح العراق ارسـل القائد سـعد بن ابي وقاص τ الوفود الى المدينة المنورة فلما راى الخليفة عمر بن الخطـاب τ قد تغيرت الوانهم؟ قال "والله ما هيئتكم بـالهيئـة التي ابـدأتم بهـا... فمـا غيركم؟ قـالوا : وخومـة البلاد" [2]. فنظر في حوائجهم وعجل سراحهم.

ويذكر ابن الاثير ان حذيفة بن اليمان الذي كان مع القائد ســـعد بن وقاصτ في المدائن قد ارســل الى الخليفة عمر بن الخطاب τ رســالة يذكر فيها حال العرب في المدائن وقال "ان العرب قد رقت بطونها وجفت أعضـــاءها وتغيرت الوانها" [3]، فكتب الخليفةτ الى سعد τ مستفسرا عن سبب تغير الوان الجند وضعف اجسامهم، قائلا : "انبئني ما الذي غير الوان العرب ولحومهم؟" [4] فأجابه ســـعد τ: "ان العرب خددهم وكفى الوانهم وخومة البلاد ودجلة" [5].

فكتـب الخليفـة عمر بن الخطـاب τ الى القـائـد ســـعـد بن ابي وقـاص τ يأمره بان يبحث عن مكان للجند يشـــبه بطبيعته الجغرافية جزيرة العرب وحدد له من يقوم بمهمـة اختيـار المكـان وطبيعتـه فقال "ان العرب لا يوافقهـا الا مـا وافق ابلهـا من البلدان فابعث ســـلمان وحذيفة فليرتادوا منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا

---

(1) العميد، ظاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الاسلامية، ص211.
(2) الطبري، تاريخ، ج4 ص40، ابن الاثير، الكامل، ج2 ص527، النويري، نهاية الادب ج19 ص339، ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص76.
(3) الكامل، ج2 ص527.
(4) الطبري، تاريخ، ج4 ص41، ابن الاثير الكامل، ج2 ص527
(5) الطبري، تاريخ، ج4 ص41، ابن الاثير الكامل، ج2 ص527

جسـرا"[1]، وقد نفذ القائد سـعد τ امر الخليفة τ وارسـل كل من حذيفة τ وسـلمان τ لاختيار المكان الجديد للجند فوقع الاختيار على الكوفة[2] وانتقل اليها سـعد τ مع الجند سنة 17هـ /637م[3].

ويبدو أن العرب الفاتحين قد سـكنوا المدائن اول الامر لكنهم لم يسـتطيعوا البقاء فيها بسبب "وخومه البلاد"[4]، وبذكر ان سعد بن ابي وقاص τ اراد السكن في الانبار مع جنده "فكثر على الناس الذباب"[5]، وقال الطبري "نزل سعد الانبار فاجتووها واصـابتهم الحمى فلم توافقهم"[6] وانتقل سـعد إلى كويفة عمر [7] "فلم توافق الناس مع الحمى والذباب"[8].

مما حدا بسعد ان يرسل الوقود لاختبار المكان المناسب للجند حتى استقروا بالكوفة وقد ول عليها ابن بقبله وقال "ادلكم على بلدة ارتفعت على البعوضـة وطأطأت على البقعة وطعنت في البرية وخالطت الريف فدلنا على الكوفة فاختط الناس ونزلوا"[9].

---

(1) الطبري تاريخ، ج4 ص41، ينظر البلاذري، فتوح البلدان ج2 ص338 – 339، ابن قتيبة، اي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1407 هـــ –1987 ص314، النويري، نهاية الارب، ج19 ص338، عبد الجبار ناحي، دراسات، ص106.

(2) الكوفة : مصرت في زمن الخليفة عمر بن الخطابτ سنة 17هـــ الحموي، ياقوت معجم البلدان ح ص160 – 163، الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص494- 496، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص301.

(3) الطبري، تاريخ، ج4 ص40.

(4) الطبري تاريخ، ج4 ص40.

(5) البلاذري، فتوح، ج2، ص338.

(6) تاريخ، ج3 ص579.

(7) الطبري تاريخ، ج3 ص579.

(8) البلاذري، فتوح، ص339.

(9) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1 ص109، الطبري، تاريخ، ج4 ص41.

ويذكر ابن خياط ان العرب قد سكنت المدائن فاجتدووها وشكوا الى عمر ذلك فقال "اتصـبر الابل بالمدائن ؟ قالوا لا ان بها بعوضـا قال : فان العرب لا تصـبر ببلاد لا تصبر بها الابل"(1).

ومما تقدم يبدو ان للمناخ والموقع الجغرافي قد لعبا دورا مهما في اختيار مدينـة الكوفة حيث تقع على اطراف الصـــحراء وذلك حتى تبقى وســـائل الاتصـــال للامراء مفتوحة مع مركز الدولة (المدينة المنورة).

واذا ما تعرض العرب فيها الى مصاعب عسكرية تستطيع المقاتلة العرب الانسحاب الى عمق الصحراء والاحتماء بها(2).

ومن الاسباب الاخرى التي حالت دون سكن المقاتلة العرب في المدن المحررة مثل المدائن والانبار والابلة وذلك بسبب، وجود مانع حيث ان نهري (دجله والفرات) يحولان بين الجند ومركز الخلافة وهذا يتنافى مع ما جاءت به وصـــــايا الخليفة عمر بن الخطابτ "...، ليس بيني وبينكم فيه بحرا ولا جسرا "(3)

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1 ص109

(2) عبد الجبار ناجي، دراسات، ص157، العميد، طاهر مصطفى العمر، ص228 – 229.

(3) الطبري تاريخ ج3 ص351، ابن الاثير، الكامل، ج2 386.

المبحـث الثانـي

أثــر الميـــاه

1 - ميـاه الآبـار:

لميـاه الآبـار اثر على معـارك المســلمين مع الفرس، ففي جبهـة العراق، تمثلت اهمية مياه الآبار في معركة ذات السـلاسـل "كاظمة" التي وقعت كما ذكرها في المحرم 12هـــ / اذار 633م عندما ســبق العدو القائد خالد بن الوليد τ الى ارض المعركة فسيطر على منابع المياه فيها (مياه الآبار) وما ان وصل القائد خالد بن الوليد τ ، حتى عرف اهمية هذا العامل الحيوي في المعركة ثم قال "الا انزلوا وحطوا اثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين واكرم الجندين"[1]-.

من المؤكد ان المعركة في كاظمة كانت معركة على الماء لانها حدثت على اطراف الصحراء، فالتقت صفوف الجيشين وانتهت بنصر العرب على اعدائهم الفرس [2].

2 – مياه الانهـار:

لمياه الانهار اثر على عدد من معارك المســلمين التي خاضــوها مع اعدائهم الفرس وتقسم الى قسمين:

(1) الطبري، تاريخ، ج3 ص349، ابن الاثير الكامل، ج2 ص 382، ابن كثير، البداية والنهاية، ج1 ص349 الجنرال أأ كرام، سيف الله خالد بن الوليد، تفاصيل المعركة ص257، محمود الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص309.

(2) صالح مهدي عماش، من ذي قار الى القادسية .دار الحرية للطباعة (بغداد 1973) ص79 .

أ – معارك الضفاف:

من المعارك التي حدثت على ضـــفاف نهري دجلة والفرات او فروعهما، ومنها معركة المذار [1] التي وقعت 12هـــ / 633م او الثني [2]. فعلى اثر الرسالة التي بعث بها القائد خالد بن الوليد τ الى هرمز كتب هرمز الى الملك يخبره بجموع العرب المســـلمين فامده بقارن بن قريانس، خرج قارن من المدائن ممدا لهرمز وعندما بلغ المذار علم بهزيمة الفرس وقتل هرمز في معركة ذات الســلاســل فعســكر قارن على الضفة الشرقية لنهر دجلة [3].

لقد كان ســبب اتخاذ قارن هذه المنطقة معســكرا لجيشــه لانها يحدها من الشــرق البطائح (الاهوار) ومن الغرب نهر دجلة وبذلك امن مجنبتاه بالنهر والبطائح من أي حركة التفاف يقدم عليها القائد خالد بن الوليد τ لا حظ الخريطة رقم (5).

---

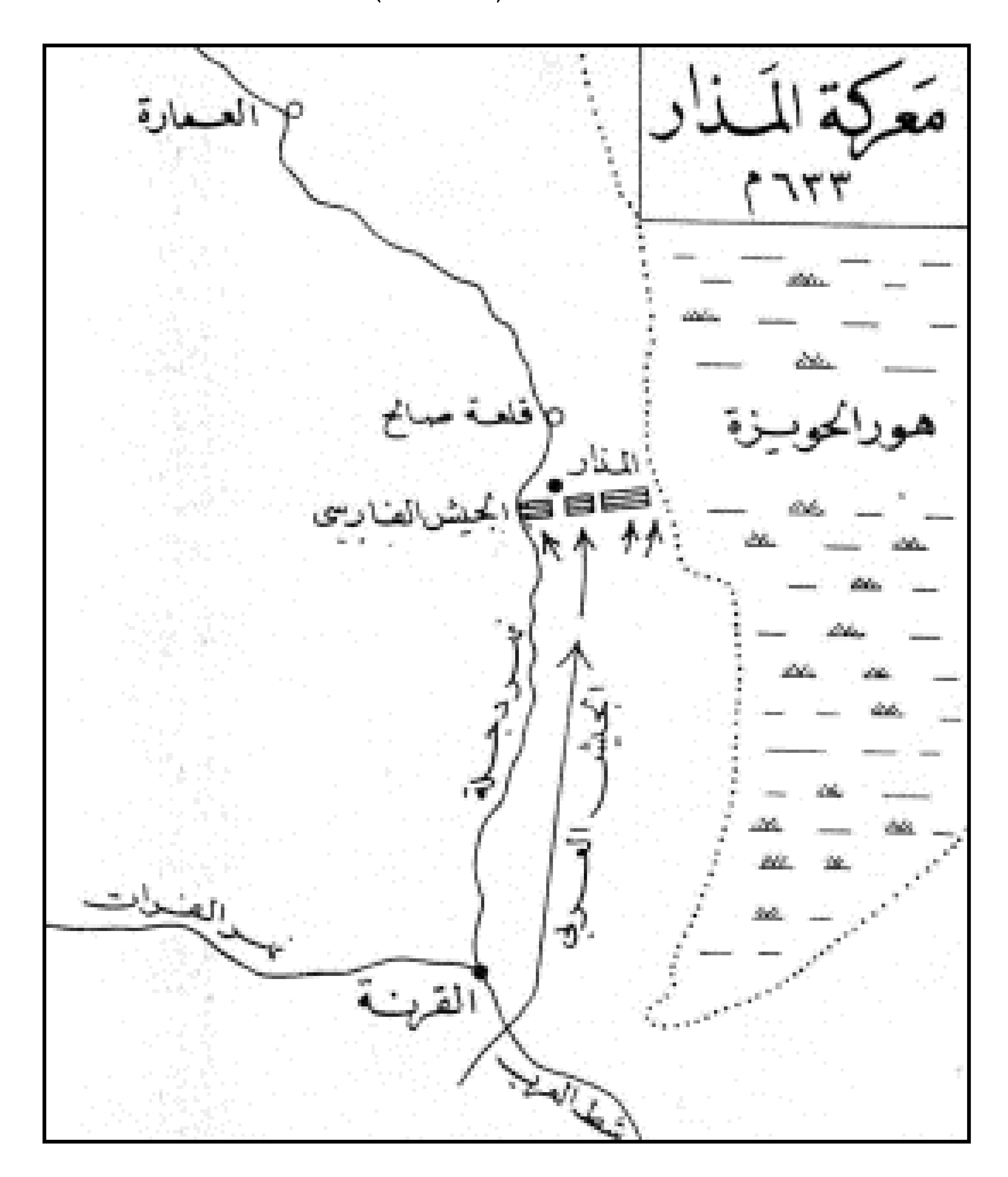
(1) المذار: هي قصبة ميسان، وتقع المذار على دجلة بين واسط والبصرة، بينها وبين البصرة اربعة ايام، وتذكر الدراســات الحديثة ان المذار تقع جنوب شــرق قلعة صــالح تبعد عنها 8 كم، ابن رســتة، الاعلاق النفســية، المجلد الســابع ص322، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج7 ص232؛ صــالح مهددي عماش من ذي قار الى القادسية، ص81.

(2) وتسمي العرب كل نهر ثني، الطبري، تاريخ، ج4 ص41.

(3) علاء الدين حسين مكي خماس، فن الحرب عند العرب (بيت الحكمة 1999) ، ص84؛ ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت 1973) ، ص175.

الخريطة رقم (5)

معركة المذار (اثر المياه)



استلت من كتاب (من ذي قار الى القادسية)

صالح مهدي عماش

وقد التقى القائد خالد τ وقواته جموع الفرس على شاطيء المذار[1]، فشن هجوما صاعقا على صفوف الفرس، لكن قوات الفرس صمدت وقاومت هجوم العرب المسلمين في بادئ الامر، لكن سـرعان ما ظهرت الفوضــى تدب في صــفوفهم ودب الرعب في قلوبهم فانهزمت فلولهم باتجاه النهر [2].

ومن الملاحظ ان الفرس قد احسـوا بخطر النهر اذا ما حدثت الهزيمة لذا نجدهم قد اعدوا القوارب التي تنقلهم الى الضـفة الثانية ويذكر ذلك الطبري بقوله "فضـموا السـفن ومنعت المياه المســـلمين من طلبهم...."[3] ، ولولا هذه القوارب لما نجا احد من جنود الفرس.

ويبدو ان الماء قد حال بين المسلمين وجند الفرس وذلك لان المياه تقف حائلا ضد حركات الخيالة والابل هذا من جانب ومن جانب اخر ان العرب المســـلمين لم يملكوا وسـائل نقل لاجتياز النهر ومتابعة الفارين، وقد انتصـر العرب في هذه المعركة فبلغت خسـائر الفرس البشـرية الى "ثلاثين الفا سـوى من غرق"[4]. وهذا يؤكد حسـن اسـتغلال العرب للعوامل الطبيعية من اجل تحقيق النصر.

وفي معركة أُليس[5] سنة 12هـــ / 633م والتي وقعت على ضفة نهر الخسيف[6]، تقدم القائد خالد بن الوليد τ بعد الانتصــــار الذي حققه في معركة الولجه الى أُليس

---

(1) الداقوقي، حسـين علي، خالد بن الوليد وتحرير العراق، بحث مسـتل في مجلة الاسـتاذ مطبعة جامعة (بغداد 1982) ص64، عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص75.

(2) أأ كرم، سيف الله خالد بن الوليد، ص226؛ ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد ، ص176.

(3) الكلاعي، ابي الربيع سـليمان بن موســى الاندلســي، الاكتفاء بما تضـمنه مغازي رسـول ρ والثلاثة الخلفاء، تحقيق، كمال الدين عز الدين علي، دار النشــر (بيروت 1997) ، ج4 ص78؛ الخضـــري بك، محاضرات، ج1 ص185.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص352؛ ابن الاثير، ج2 ص387؛ النويري، نهاية الارب، ج19، ص108.

(5) أليس: موضـع في اول ارضـي العراق من ناحية البادية، الحموي ياقوت، معجم البلدان ، ج1 ص198 ؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص29 –30.

(6) أأ كرم، سيف الله خالد بن الوليد ، ص284؛ علاء حسين مكي، فن الحرب عند العرب، ص109.

وفوجيء الفرس بهجوم صــاعق وهم يتناولون غذائهم، ودارت المعركة بين الطرفين بعد ان حوصــرت قوات الفرس بين قوات المســلمين والنهر[1]، وقد صــبر الفرس على قتال العرب المســلمين، حتى وصــف القائد خالد بن الوليد τ ذلك بقوله "لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة اسياف... وما لقيت من اهل فارس قوما كأُهل أليس[2].

ولما رأى القائد خالد τ صــبرهم وتجلدهم، توجه بالدعاء الى ربه قائلا "اللهم ان لك علي ان منحتنا اكتافهم، لا اسـتبقي منهم احداً قدرنا عليه حتى اجري نهرهم بدمائهم"[3] ونظرا لخســائر الفرس الكبيرة في تلك فقد اصــبحت تلك الضــفة من النهر مقبرة لهم ومجرى لدمائهم وقد انتصــر العرب في هذه المعركة وبلغت خســائر الفرس البشــرية (سبعين الف)[4] وسميت بمعركة نهر الدم[5].

---

(1) الطبري، تأريخ ، ج3 ص366.

(2) الطبري، تأريخ، ج3 ص358؛ ابن الاثير الكامل، ج2 ص380

(3) الطبري، تأريخ، ج3 ص356.

(4) الطبري، ج3 ص358؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص110.

(5) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص357.

وفي معركة فرات بادقلي سنة 12هـ، 633م تقدم القائد خالد بن الوليد τ وركب النهر متجهاً نحو الحيرة[1]، مستفيدا من السفن التي استولى عليها في معركة امغيشيا[2].

تنبه حاكم الحيرة الى أثر العامل الجغرافي المتمثل في النهر اذ احسن استغلاله عسكريا واحسن خطته العسكرية بقراره بسد قناطر الفرات لكي يعيق تقدم جيش المسلمين الى الحيرة، بعد أن كلف ابنه بان يتولى عمل تلك القناطر[3].

تقدم القائد خالد بن الوليد τ من امغيشيا شمالا باتجاه الحيرة، ففوجئ القائد خالد بن الوليد بان السفن قد جنحت في المياه، وقد علم خالد "ان الفرس قد فجروا الانهار فسلك الماء غير طريقه"[4].

وهذا يدلل على دقة نظر حاكم الحيرة في استخدام العامل الجغرافي في احراز النصر لجانبه فتحقق له ما أراد بإعاقة قوات المسلمين وشل حركتهم بسبب انقطاع الماء عن الجريان وتوقف السفن عن الحركة[5]، فادرك القائد خالد بن الوليد τ خطة العدو وبعد التشاور مع اصحابه اتخذ قرارا سريعا لمعالجة الموقف، فسار مع كتيبة من الخيالة للسيطرة على منطقة توزيع المياه، فالتقى مع ابن حاكم الحيرة على فم العتيق[6] ودارت معركة بين الطرفين كان من نتائجها قتل ابن حاكم الحيرة مع افراد المجموعة

---

(1) الحيرة : مدينة على ثلاثة اميال من الكوفة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ص201.

(2) امغيشيا : كانت مصرا كالحيرة وكان فرات بادقلي ينتهي اليها وأُليس من مسالحها، الطبري، تأريخ، ج3، ص358.

(3) الطبري ، تاريخ، ج3؛ محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد، المخزمي، ط2 ، 1390هـ 1970م، (بلا مكان) ص123.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص359؛ ابن الاثير، الكامل ، ج2 ص390.

(5) الواموسيل، الفرات الاوسط، ترجمة د. صدقي حمديوآخرون، مراجعة د. صالح احمد العلي، وآخرون، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (1411 – 1990) ، ص464.

(6) العتيق : هو احد انهار الفرات، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج6 ص419.

المكلفة بحراســـة منطقة توزيع المياه عند المقر[1]، فاعاد خالد τ الماء "وفجر الفرات وسد الانهار وسلك الماء سبيله"[2]، واصبح النهر صالحا للملاحة بعد سد القناطر وارتفاع منســـوب المياه في النهر فتمكنت الســـفن من التقدم ورســـت"بين الخورنق والنجف"[3] اما حاكم الحيرة فقد قطع الفرات هاربا من غير قتال خوفا من ان يقع به ما وقع بابنه[4].

ب- معارك العبـور:

تعد معارك العبور من المعارك التي تتطلب التعرف على الطبيعة الجغرافية لضـفة النهر التي يتم العبور اليها كذلك يتطلب التعرف على مزايا النهر من حيث الضـــفاف وعرض النهر والمخاضـة، واعداد القوارب ومن الأمثلة على ذلك معركة الفراض[5] 12 هـــ /633 م، إذ كان للقائد خالد بن الوليد τ دور فيها عندما رفض العبور الى الجهة الشـــرقية لنهر الفرات الذي يحول بين قوات المســـلمين وقوات الفرس والروم[6]. وعند منطقة الاســتقاء (الشــريعة) خيّر الفرس القائد خالد بن الوليد τ بقولهم "اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم فقال خالد: بل اعبروا الينا"[7] قالوا : "فتنحّوا حتى نعبر"[8] لكن خالد لم يستجب لطلبهم وذلك لان المكان الذي نزل عليه تم اختياره من قبله لكونه يعطي لقواته حرية في

(1) المقر : موقع قرب فرات بادقلي من ناحية البر من جهة الحيرة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج8 ص301.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص359.

(3) الطبري ، تأريخ، ج3 ص359؛ صالح مهدي عماش، من ذي قار الى القادسية ، ص87.

(4) عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص78.

(5) الفراض : منطقة على تخوم العراق والشام، والجزيرة، والفراض فوهة النهر، والفرضة، بالضم من النهر ثلمة يستقي منها ، الطبري، تاريخ، ج3 ص384؛ ابن الاثير ، ج2 ص399 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج6 ص421؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2 ص352.

(6) الطبري، تاريخ، ج3 ص383.

(7) الطبري، تاريخ، ج3 ص383؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج6 ص356.

(8) الطبري، تاريخ، ج3 ص383.

المناورة والهجوم على الاعداء واراد ان تكون الصحراء خلف ظهره[1] وقال "اعبروا اسفل منا"[2]، فعبروا أسفل منهم.

فبدأت المعركة بشكل سريع وعنيف جدا وبدأت بوادر النصر تلوح في الأفق لصالح المسلمين حين اصدر القائد خالد τ امرا الى جنده وقال "ألحّوا عليهم ولا ترفهوا عنهم"[3] وهو بذلك يريد ادامة الزخم ومواصلة الهجوم حتى ينهار العدو وبذلك حقق نصرا ساحقا على الاعداء بفضل اختياره ارض المعركة، دون اختيار العبور لما فيه من آثار سلبية على نتيجة المعركة. وقد بلغت خســـائر الفرس والروم "اكثر من مائة الف"[4] في هذه المعركة.

وفي معركة الجسر[5] سنة 13 هــ، 634 م، سار ابو عبيد الثقفي τ بعد ان حقق نصــرا على الفرس في عدة معارك[6]، حتى نزل المروحة[7] وعســكر بها اما الفرس فقد نزلوا قس الناطف[8] واصبح الفرات حائلاً دون التقاء الطرفين[9].

فارســـل الفرس الى القائد ابي عبيد الثقفي يخيرونه بقولهم: "اما ان تعبروا الينا وندعكم والعبور واما ان تدعونا نعبر اليكم"[10]، اســتشــار القائد ابو عبيد لثقفي القادة الميدانيين بقصـــد العبور فقالوا لـه "لا تعبر يا ابا عبيد، ننهاك عن العبور قل لهم

(1)علاء الدين حسين مكي خماس، فن الحرب عند العرب ، ص144.

(2) الطبري، تاريخ، ج3 ص383؛ ابن الاثير ، الكامل ، ص399.

(3) الطبري، تاريخ، ج3 ص384.

(4) تاريخ، ج3 ص384 ؛ ابن الاثير، الكامل ج6 ص356؛ النوريري، نهاية الارب، ج19 ص116.

(5) الجسر: قرب الحيرة والذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس، الحموي، ياقوت ج3، ص58.

(6) اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن واضـــح ،تأريخ اليعقوبي، مط الحيدرية (النجف 1964)، ج2 ص132 ؛ الطبري، تاريخ، معركة النمارق والسقاطية، ص446 –450.

(7) المروحة : موضع بشاطيء الفرات الغربي، المصدر نفسه، ج7 ص50.

(8) قس الناطق:موضع قريب من الكوفة على شاطيء الغربي،ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج7ص50

(9) الطبري،تاريخ،ج3 ص454؛الكلاعي،الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول اللهρ،،ج4 ص125.

(10) الطبري، تاريخ ، ج3 ص454.

فليعبروا"[1]، وكان من اشـد المعارضـين لعملية العبور الصـحابي الجليل سـليط بن قيس τ[2] ولعل سـبب ذلك ان المكان الذي نزل فيه العرب يعطي للمسـلمين حرية في الهجوم والانسـحاب وقال له سـليط بن قيس "ان العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا، وانهم قد حفلوا لنا[3]، واسـتقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به احد منهم، وقد نزلت منزلا لنا فيه مجالاً وملجأً ومرجعاً، من فر الى كر"[4]، وعلى الرغم من تلك المداولة مع قواده ، ترك القائد أبو عبيد الثقفي الرأي وامر قواته بالعبور الى الضـفة الشرقية لنهر الفرات.

ويذكر البلاذري ان هناك جسـرا مقطوعا أصـلحه ابي عبيد "ثم عبر ابو عبيد والمسلمون من المروحة على الجسر فلقوا ذا الحاجب..."[5].

ويبدو ان المكان الذي نزل فيه ابو عبيد ضـيقا ليس فيه مخرج ولا مدخل[6] فقد حوصـرت قوات المسـلمين على ارض ذات مسـاحة قليلة بين نهر الفرات من الخلف وقوات الفرس من الامام، فافقدهم ذلك في بداية المنازلة اهم مبادئ الحرب وهي عملية الكر والفر، وفضـلاً عن ذلك ان قوات المسـلمين إذا منيت بالهزيمة لا تسـتطيع الانسحاب بسبب المانع المائي.

وفي اثناء العبور شـن الفرس هجوما على قوات المسـلمين تتقدمه الفيلة فدارت معركة عنيفة تسـاقط القتلى فيها من كلا الجانبين[7] ، ان خسـارة المسـلمين في هذه

---

(1) الطبري، تاريخ ، ج3 ص454؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص438؛ النويري، نهاية الارب،ج9 ص183

(2) سـليط بن قيس بن عمر بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الانصـاري الخزرجي، شهد بدر وما بعدها من المشاهد ، استشهد يوم الجسر مع ابي عبيد الثقفي ، ابن الاثير: اسد الغابة، ج2، ص441.

(3) حفلوا لنا: جتمعوا، الفيروز آبادي، القاموس ، ج3 ص369.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص456؛ الكلاعي الاكتفاء مما تضمنه مغازي رسول الله ρ ، ج4 ص125

(5) فتوح البلدان، ج2 ص308 ؛ ابن اعثم ج1 ص168.

(6) فارس حسن شاكر، عمر بن الخطاب، المكتبة المدنية، (بغداد 1989)، ص29

(7) محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم القاهر، (بلا ت)، ص217.

المعركة يعود الى عدم استغلال العبور لصالح المسلمين والذي كان عليه رأي الجماعة، فادى عبور المسلمين الى خسارتهم في هذه المعركة[1].

وعلى اثر معركة الجسر ارسل الخليفة عمر بن الخطابτ القائد جرير بن عبد الله البجلي[2] ومعه قبيلة بجيلة الى العراق[3]، ويذكر المسعودي ان القائد جرير بن عبد الله τ قاتل مرزبان المدائن وعندما وصل الى نهر دجلة طلب اصحابه العبور فقالوا "اعبر الدجيلة الى المدائن، فقال : جرير هذا ليس بالرأي، وقد مضى لكم في ذلك عبره بمن قتل من اخوانكم يوم الجسر، ولكن امهلوا القوم حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله[4]. فامهل القوم حتى اذا عبر النصف، باشرهم بهجوم كان من نتائجه قتل مرزبان المدائن وغرق اكثر جيش الفرس في نهر دجلة[5] .

وبذلك يكون العبور ذا أثر سلبي في المعركة سواءً في صف المسلمين أم في صف المشركين الفرس.

وفي معركة البويب 13هـ / 634هـ بعد النصر الذي حققه الفرس في معركة الجسر ارادوا طرد العرب المسلمين من العراق، واعدوا لهذا الغرض جيشا فارسيا بقيادة مهران الذي خرج من المدائن يريد الحيرة[6]. فعلم المثنى بتحركات الفرس ونواياهم فارسل إلى

---

(1) قيس عبد العزيز مهدي، معركة نهاوند (فتح الفتوح) واثرها في انهاء الحكم الساساني، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية (ابن رشد) / جامعة بغداد 1421هـ – 2000م ص18.

(2) جرير بن عبد الله البجلي، اسلم قبل وفاة الرسولε كان حسن الصورة قال عنه عمر بن الخطاب τ (جرير يوسف هذه الامة) وهو سيد قومه ، وقال عنه النبيε لما دخل عليه جرير فاكرمه وقال (اتاكم كريم قوم فاكرموه) ، ارسله الخليفة عمر بن الخطاب τ إلى العراق بعد مصاب اهل الجسر ، اشترك في معركة القادسية، اقام جرير في الكوفة ومات في قرقيسيا وقيل مات بالسراة ، ابن الاثير: ساد الغابة، ج1، ص332–333.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ج2 ص310 ؛ ابن أعثم، الفتوح، ج1 ص171.

(4) المسعودي، ابو الحسن على بن الحسين، مروج الذهب ومعاد الجوهر، تحقيق الشيخ قاسم، دار القلم بيروت لبنان 1408 هـ – 1986 م، ج1 ص319.

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج2 ص319.

(6) الطبري، تاريخ، ص461، النويري، نهاية الارب، ج19 ص185.

الخليفة عمر الخطاب τ يعلمه بذلك ويطلب المدد لينضـموا إليه عند البويب حيث قال "فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب[1]"[2].

وتقدم مهران ونزل في مكان يقال له بسـوسـيا[3] على جانب الفرات الشـرقي، ونزل المثنى بن حارثة والمسلمون على البويب مما يلي الكوفة والفرات يحجز بين الفريقين[4].

وفي هذه الوقعة خاطب قائد الفرس، قائد جيش المســـــلمين يطلب منه احد أمرين قائلا "اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم"[5] فكان جواب المثنى بقوله اذا شاء العبور فليعبر [6].

وقد اعتبر المثنى من الخطأ الذي وقع فيه ابو عبيد الثقفي في معركة الجسر بعبور نهر الفرات[7]، وبذلك طبق المثنى وصـــية الخليفة عمر بن الخطاب τ الى قواد المسلمين "الا يعبروا بحرا ولا جسرا الا بعد ظفر"[8] .

---

(1) البويب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة، الحموي ياقوت معجم البلدان ج2 ص403. الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص116.

(2) الطبري، تاريخ ص461، ابن الاثير، الكامل ج2 ص442، الكلاعي، الاكتفاء بما تضـــمنه مغازي رسول اللهρ ج4 ص139

(3) بسوسيا : موقع قرب الكوفة، الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج2 ص334.

(4) الطبري، ج3 ص463.

(5) الطبري، تاريخ، ج3 ص461، ابن الاثير ج2 ص442.

(6) الطبري، تاريخ، ج3 ص463.

(7) فارس حسن شاكر، عمر بن الخطاب، المكتبة المدنية (بغداد بلا ت) ص31 .

(8) الطبري تاريخ، ج3 ص463.

ويذكر البلاذري "ان المســـلمين امهلوا مهران حتى عبر الجســـر "[1] وكانت قوات الفرس معبئة في ثلاثة صـــفوف "فنزلوا شـــوميا[2] ولهم زجل[3] "[4] وذلك للتأثير على معنويات المسلمين.

التحم الجانبان في معركة دامية كان الفرس يريدون الاحتفاظ بالنصـــر الذي حققوه في معركة الجسـر والاحتفاظ بالارض التي سـيطروا عليها اما العرب المسـلمون فكانوا يريدون الثار لشـهداء المسـلمين ونشـر الدين الاسـلامي وتحرير الارض العربية من سـيطرة الفرس وقد تواصـلت المعركة بين الطرفين حتى اسـتطاع المثنى أن يهاجم قلب العدو وقتل مهران، مما ادى الى اضـطراب صـفوف الفرس والتراجع الى الخلف باتجاه النهر طلبا للنجاة، لكن المثنى قطع عليهم خط الرجعة عندما ســبقهم إلى الجســـر وحصـرهم بينه وبين قواته واوقع فيهم السـيف من الامام والخلف[5]. ينظر الخريطة رقم (6).

---

(1) البلاذري، ج2 ص311.

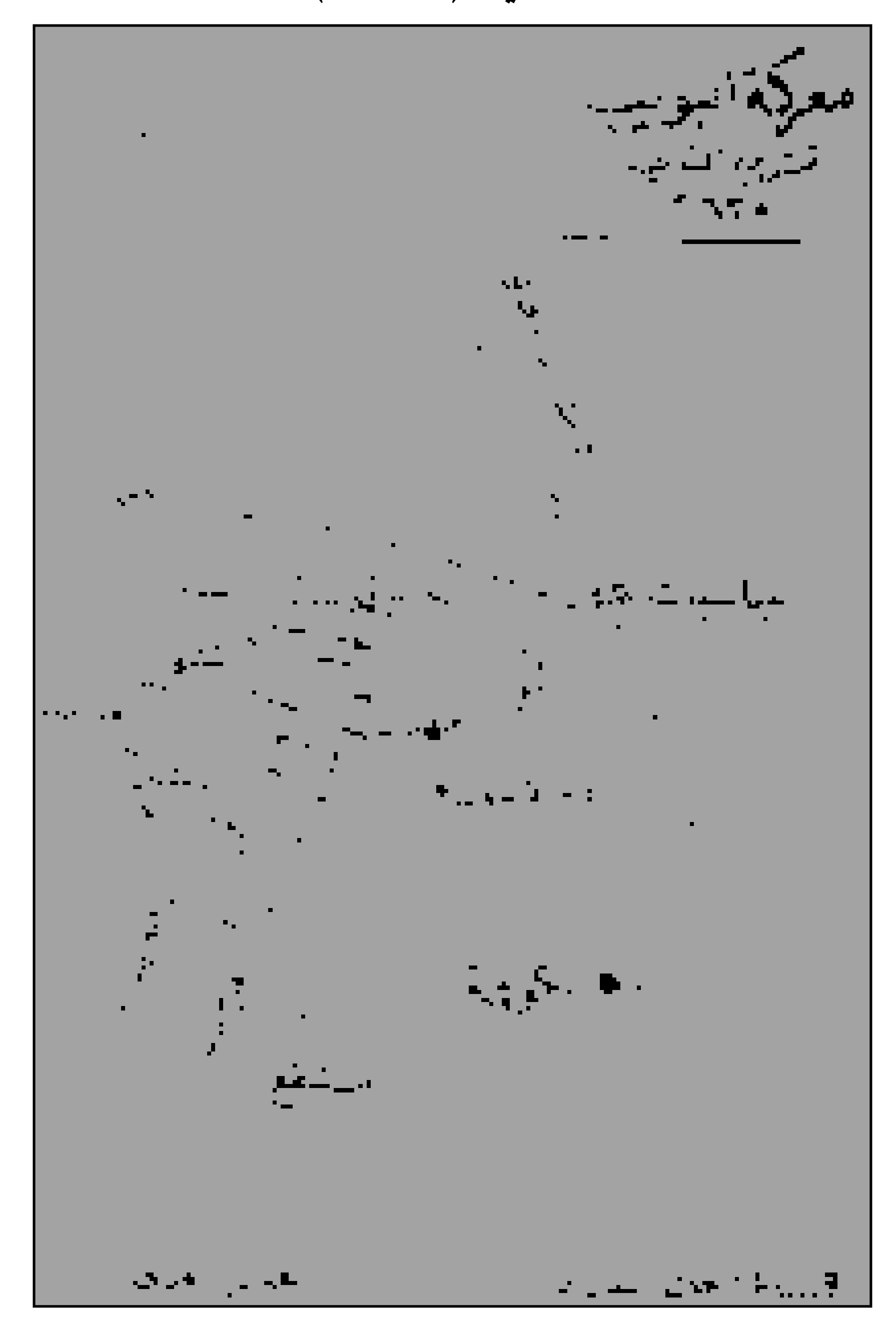
(2) شوميا، موضع في بقعة الكوفة نزل فيه مهران لمحاربة المسلمين، الحموي ياقوت، معجم البلدان ج5 ص164.

(3) زجل : الصوت، الفيروز آبادي، القاموس، ج3 ص399

(4) الطبري، ج3 ص461.

(5) محمود الدرة، تاريخ العرب العسـكري، ص345 ؛ عبد الحميد حسـين، الفتح الاسـلامي في العراق والجزيرة، مطبعة عفيف – بغداد 1958 – 1961، ص28.

الخريطة رقم (6)
معركة البويب (اثر المياه)



استلت من كتاب (من ذي قار الى القادسية)
صالح مهدي عماش

ويذكر الطبري ندم المثنى لمسابقته اياهم الى الجسر فقال "عجزت عجزةً وقى الله شرها بمسابقتي اياهم الى الجسر وقطعه؛ حتى احرجتهم... فلا تعودوا ولا تقتدوا بي ايها الناس، فانها كانت زلة لا ينبغي احراج احد الا من لا يقوى على امتناع"[1].

لقد كان لنهر الفرات في هذه المعركة دور بارز تمثل في الإيقاع بالعدو في أثناء العبور.

وروى الطبري بسنده عن عرفجة بن هرثمة البارقي[2] الذي كان شاهد عيان للمعركة اذ قال "حزنا كتيبة منهم الى الفرات، ورجوت ان يكون الله تعالى قد اذن في غرقهم وسلى عنا بها مصيبة الجسر، فلما دخلوا في حد الاحراج كروا علينا، فقاتلناهم قتالا شديدا... فولوا نحو الفرات، فما بلغه منهم احد فيه الروح"[3].

ويبدو من ذلك ان مواصفات الضفة الغربية لنهر الفرات تشبه ما الفه المسلمون في معاركهم التي حدثت على اطراف الصحراء لقلة قنوات الري والزراعة اما الضفة الشرقية فكانت على العكس من ذلك إذ لو اراد المسلمون العبور اليها لكان النصر حليف الفرس.

وفي معركة القادسية[4] سنة 15هـ/635م كان لمياه نهر العتيق اثر سلبي على جيش الفرس، وبعد ان فشلت المفاوضات باصرار الفرس لقتال العرب "أرسل سعد إلى الناس ان يقفوا مواقفهم"[5]، وان يتمسكوا بمواقعهم العسكرية تنفيذاً لأمر القيادة العليا

---

(1) الطبري تاريخ، ج3 ص468 – 469؛ الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله ρ، ج4 ص145.

(2) عرفجة بن هرثمة البارقي، احد امراء الفتوح ، استعمله ابو بكر الصديق τ في حروب الردة واستعمل عمر بن الخطاب في فتوح العراق لمساعدة عتبة بن غزوان، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج4 ص23، ابن حجر الاصابة ، ج4 ص23.

(3) تاريخ، ج3 ص468.

(4) القادسية : مدينة ذات نخل ومياه تقع على حافة سواد العراق وتحدها البادية من الغرب والاشجار والنخيل من جهة الشرق وتبعد عن الكوفة خمسة عشر فرسخاً والفرسخ يساوي ثلاثة اميال وعن العذيب اربعة اميال، ابو الفداء، تقويم البلدان؛ المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص105؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج3 ص7 .

(5) الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ النويري ، نهاية الارب ، ج19 ص200.

ســـامحين للفرس بالعبور لجرهم إلى المنطقة التي اختارها العرب لتكون ميداناً للمنازلة "فأرسـل اليهم سـعد τ وقال شـأنكم والعبور فأرادوا القنطرة"، التي سـيطر عليها العرب باعتبارها ممراً حيوياً مهماً رافضــين الســماح للجيش الفارســي لاجتيازها قائلين "لا ولا كرامة أما شـــيء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم تكلفوا معبراً غير القناطر"[1]، وبذلك وضـــع ســعد بن ابي وقاص τ القوات الفارســية أمام محنة جديدة وهي اختيار منطقة لعبور هذه الأعداد الهائلة من جيوش الفرس مع كامل معداتهم الحربية ، فلم يجد رستم مجالاً سوى ان يختار منطقة أخرى للعبور ، فأمر "بسكر العتيق بحيال قادس... فباتوا ليلتهم حتى الصــباح يســكرون العتيق بالتراب والقصـــب والبراذع حتى جعلوه طريقاً، واستتم بعد ما ارتفع النهار من الغد"[2].

وبذلك استطاع القائد سعد بن ابي وقاص τ ان يرهق جيش الفرس في عمل شاق يتطلب جهداً عضـلياً كبيراً ليلة كاملة لايجاد طريق لعبور القوات الفارسـية إلى الضـفة الغربيـة لنهر العتيق لملاقاة الجيش العربي الاســـلامي، ولهذا العمل دور كبير في اضـعاف الجانب المعنوي لدى القوات الفارسـية وانهاك قواها التي اسـتنفذها العبور وقد وصــــف الطبري عملية العبور بقولـه "فعبر الفرس باثقالهم حتى نزلوا على ضــــفة العتيق"[3]، في الوقت الذي كانت فيه القوات العربية في معنويات عالية وراحة تامة استعداداً للمعركة الفاصلة.

وبعد أن عبرت القوات الفارسـية إلى الضـفة الغربية من نهر العتيق اصـبحت وجهاً لوجه مع الجيش العربي الاسـلامي فكانت "صـفوفهم على شـفير العتيق"[4]، أما مواقع

---

(1) الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج2 ص323.

(2)الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ النويري، نهاية الارب ،ج19 ص202.

(3)الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ المقدسي ، مطهر بن طاهر ، البدء والتاريخ ، ج5 ص373.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص535؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص325؛ النويري، نهاية الارب ، ج19 ص204.

جيش المسلمين فكان "صف المسلمين مع حائط قديس والخندق من ورائهم"[1]، وبذلك أصبح ميدان المعركة محصوراً بين الخندق والعتيق[2].

وبهذا الموقع أصبحت القوات الفارسية محصورة بين العتيق من الخلف والمعسكر الإســـلامي من الأمام ، فهي غير قادرة على القيام بأية مناورة لضـــيق الأرض التي تعسكر عليها، وفي الوقت نفسه اصبحت عاجزة عن الانسحاب المنظم اذا ما تعرضت لضغط القوات العربية بسبب المانع المائي الموجود خلفها وهو نهر العتيق.

وفي هذا المكان دارت معركة القادسـية التي اسـتمرت اربعة ايام وكان من نتائجها انتصـار العرب المسـلمين في هذه المعركة وقتل قائد الفرس رسـتم، وقد بلغت خسـائر الاعداء البشرية بسبب القتل والغرق ثلاثين ألف[3].

وبعد الانتصـــار الذي حققه العرب في معركة القادســـية تتبع القائد ســـعد بن ابي وقاصτ فلول الفرس امام قوات المسـلمين، حيث خاض معهم عدد من المعارك، حتى انتهى الى المدائن[4]، وكان ذلك بامر الخليفة عمر بن الخطاب τ عندما كتب الى سعد بن ابي وقاصτ اثناء معركة القادسية وقال "فان منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها ان شـــاء الله"[5]

وقد نفذ القائد سـعد τ امر الخليفة وامر قواته باسـتثمار الفوز ورصـد تحركات الفرس،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3 ص535؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص325؛ النويري، نهاية الارب ، ج19 ص204.

(2) الطبري، تاريخ ، ج3 ص535؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص325.

(3) الطبري، تاريخ ، ج3 ص564؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص470.

(4) المدائن : تعني بالفارسية توسفون وعربوه إلى الطيسفون وهي سبع مدائن بناها الاكاسرة على طرف دجلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج7 ص221 – 222؛ القزويني، آثار البلاد واخبار العباد ص453.

(5) الطبري، تاريخ، ج3 ص492.

ولقائهم في بيرس وكوثي وبهر سـير وحقق النصـر عليهم وكانت هذه الوقعات سـنة 15هـ[1].

وفي سـنة 16هـ / 636م دخلت القوات العربية الإسـلامية بهرسـير[2] "واقام سـعد τ بها ثلاثة ايام وخرج إلى الشـط واراد ان يعبر بالناس إلى المدينة القصـوى اسبانير فلم يجدوا شيئاً من السفن فاقام اياماً من شـهر صـفر"[3]، وقد ذكر البلاذري بقوله "لما انتهى المسلمون إلى دجلة وهي تطفح بما لم يرَ مثله قط واذا الفرس قد رفعوا السفن والمعابر إلى الجيزة الشـرقية وحرقوا الجسر فأغتم سعد والمسلمون اذ لم يجدوا إلى العبور سبيلاً"[4]، لان الفرس "قد ضموا السفن فيما بين البطائح وتكريت"[5].

بدأ القائد سـعد بن ابي وقاص τ يفكر ويخطط لعملية العبور "والناس يحرضـونه على العبور إلى ذلك الجانب وهو يأبى اشـفاقاً على المسـلمين"[6] وقد ذكر ابن اعثم الحوار الذي دار بين سعد τ والمقاتلة عندما طلب من المقاتلة النزول عند ضفة النهر حتى يتم بناء جسـر للعبور وقال "ايها المسـلمون انزلوا الآن هاهنا حتى نعقد جسـراً ونعبر" فأجابه بعض المقاتلة قائلاً "ايها الامير ان الذي حملنا في البر هو قادر ان يحملنا في البحر، فقال سعدτ صدقت ايها الرجل ولكن الماء في منتهى الزيادة على ما ترى فقال له الرجل انا اقتحم ايها الامير هذه الدجلة بفرسي واثقا بربي وفعل"[7].

---

(1) ابن الاثير، الكامل، ج2 ص507.

(2) بهرسير: وهي المدائن السبع التي سميت المدائن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ص405.

(3) الواقدي ، فتوح الشام، ج2 ص199.

(4) البلاذري، فتوح البلدان ، ج2 ص323.

(5) الطبري، تاريخ ، ج4 ص8.

(6) الواقدي ، فتوح الشـام ، ج2 ص199؛ الطبري ، تاريخ، ج4 ص9؛ ابن الأثير ، ج2 ص356؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، تأريخ ابن خلدون ، المسـمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصـرهم من ذوي السـلطان الأكبر، منشـورات مؤسـسـة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت 1391هـ-1971م)، ج4 ص137.

(7) ابن اعثم ، الفتوح ، ج1 ص213.

وفي النهاية اقر سـعد τ عبور نهر دجلة فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال "ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون اليه معه، وهم يخلصون اليكم ان شاءوا فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه... الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشـد، فافعل"[1].

استجاب المقاتلون لنداء سعد τ ، وكان اول عمل قام به سعد السيطرة على الضفة الشـرقية وقال "من يحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج"[2]

فكان اول المتطوعين عاصم بن عمرو[3] قائد كتيبة الاهوال، وتطوع معه ستمائة رجل لاقتحام نهر دجلة الذي كان في اوج فيضانه[4]، وكان من اجراءات عاصم بن عمرو ان يؤمن الضفة المقابلة لكي يضمن سلامة عبور قوات المسلمين نهر دجلة اذ قال"من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب معه ستون"[5] وكان من اجراءات عاصم بن عمرو ان قسم الخيل ذكورا واناثا لتكون اساسا لعوم الخيل ولم يغفل الاعداء خطط القادة المسلمين إذ كانوا يترقبون ذلك بقلق شديد فلما بدأت طليعة عاصم بن عمر بالعبور "ورآهم الأعاجم وما صنعوا اعدوا للخيل التي تقدمت سعد مثلها ، فاقتحموا عليهم فاعاموها عليهم فلقوا عاصماً في السرعان وقد

---

(1) الطبري، تاريخ ، ج4 ص9؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص65 – 66، كمال، احمد عادل استراتيجية الفتوحات الاسلامية، سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ص37.

(2) الطبري ، تاريخ ، ج4 ص9، ابن الاثير، الكامل ج2 ص512، النويري، نهاية الارب، ج19 ص224.

(3) عاصم بن عمرو التميمي، من الشعراء الفرسان اشترك في فتوح العراق له فيها اشعار كثيرة شارك مع اخيه القعقاع في معركة القادسية فابلو بلاءا حسنا، الذهبي: تجريد اسماء الصحابة، ج1، ص281. ابن حجر ، الاصابة ج2 ص247.

(4) البلاذري، ج2 ص323.

(5) الطبري، تاريخ، ج4 ص9.

دنا من الفراض"[1] فاصـــدر عاصـــماً امراً إلى قواته قائلاً "الرماح الرماح اشـــرعوها وتوخوا العيون[2]، فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا نحو الجد والمسلمون يشمصون بهم خيلهم ما يملك رجالها منع ذلك منها شيئاً"[3].

بعد هذه المعركة الســريعة تراجعت خيل الفرس مولية الأدبار ، ويذكر الواقدي ذلك بقوله "فلما رأت الفرس ثبات العرب في الماء كثباتهم في الأرض للطعن والضــرب ولوا الادبار والمســـلمون في آثارهم فقتلوا عامتهم وما نجا إلى الشـــط الا القليل وملك المســلمون جانب الشــط من جهة الفرس"[4]، ثم تلاحق باقي الســتمائة متطوع بأوائل الســتين ، ولما رأى ســعد τ ان عاصــم بن عمرو امن الضــفة الشــرقية لنهر دجلة اذن للناس في اقتحام نهر دجلة وطلب منهم ان ينطقوا بالدعاء"قولوا نســتعين بالله، ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم"[5].

واســتعد الجند لعبور النهر الذي كان في اوج فيضـــانه حيث وصــف الطبري ذلك بقوله "فتلاحق عظم الجند، فركبوا اللجة، وان دجلة لترمي بالزبد وانها لمســـوده،... ففجئوا اهل فارس بامر لم يكن في حســابهم"[6] ويســتمر الطبري في وصــف عملية العبور حيث يقول"طبقنا دجلة خيلا ورجلا ودواب حتى ما يرى الماء من الشـــاطيء احد، فخرجت بنا خيلنا تنفض اعرافها لها صــهيل. فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شــيء"[7] ويبدو مما تقدم ان العرب المسلمين اتخذوا الخيول بمثابة زوارق نهرية في اول عملية عبور في التاريخ فهاجموا العدو في امنع مناطق حمايته، على الرغم من شـــدة فيضـــان النهر الذي يعزز من مناعة المدينة، بعد ان نقل الفرس الســـفن

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4 ص9.
(2) ابن الاثير، الكامل، ج2 ص512.
(3) الواقدي، فتوح الشام ، ج2 ص200 ؛ الطبري، تاريخ، ج4 ص9-10.
(4) الواقدي، فتوح الشام ، ج2 ص200
(5) الطبري، تاريخ، ج2 ص10، النويري، نهاية الادب، ج19 ص225.
(6) تاريخ ، ج2 ص10 –11.
(7) تاريخ ، ج4 ص10 –11.

والمعابر الى الضــفة الشــرقية، ويذكر ابن خياط ان عملية العبور كانت في اتجاهين احدهما من فوق المدائن والاخر من اسـفلها [1] وبذلك حقق العرب المسـلمون مباغتة اعدائهم والهجوم عليهم من اكثر من جانب من اجل تشـــتيت قواهم وتحقيق النصـــر عليهم[2]. ينظر الخريطة رقم (7).

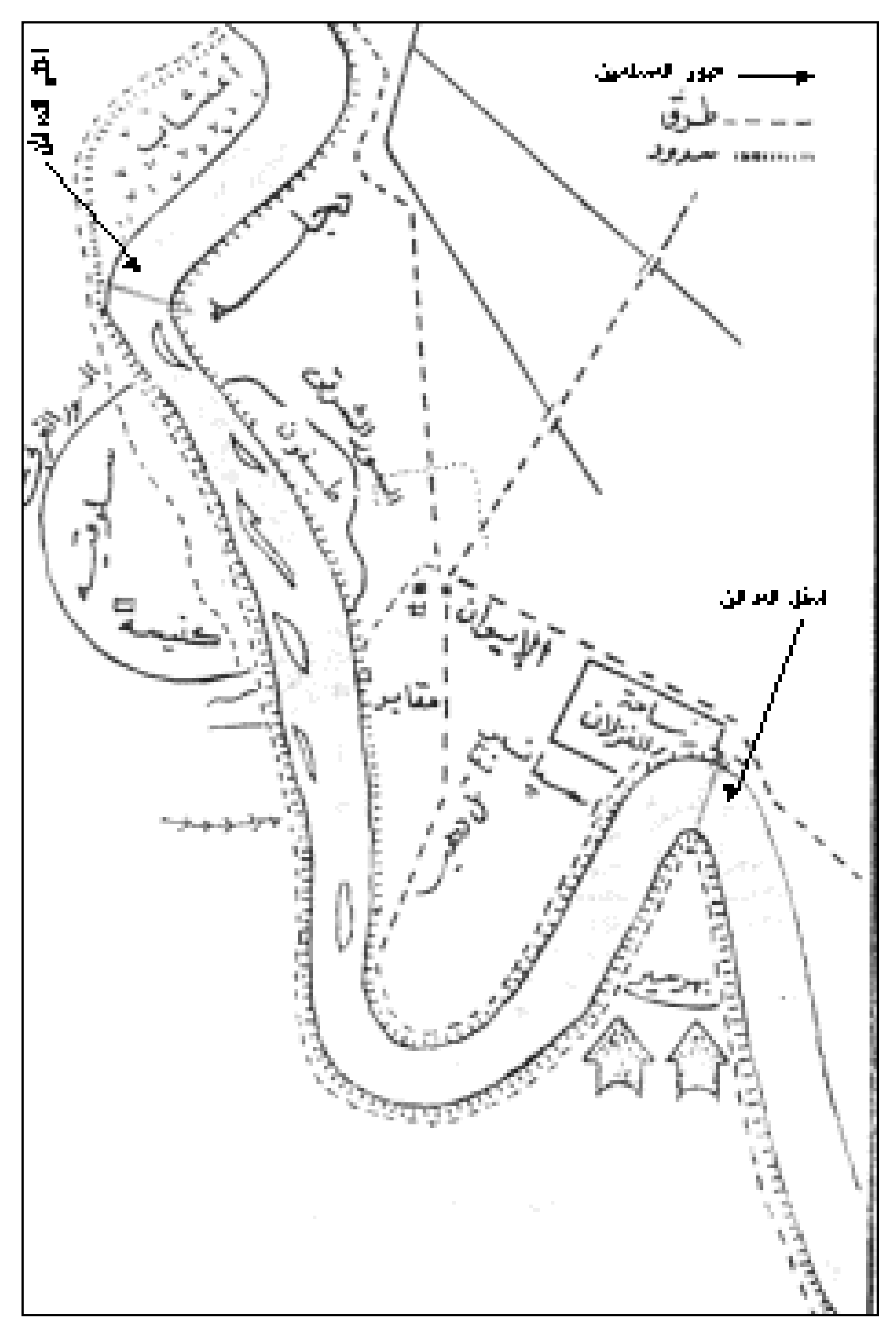
---

(1) تاريخ خليفة بن خياط،ج1ص104.

(2) ايوب عبد الحميد مخيلف، معركة القادسية واثرها في تحرير العراق 15هـــ – 636م، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، 1410هـ-1989م، ص178.

الخريطة رقم (7)

دخول المدائن



استلت من كتاب سقوط المدائن

احمد علي الكمال

ويذكر البلاذري انه عندما اراد ســعد العبور إلى الجانب الشــرقي من المدائن "ولم يجد معابر فدل على مخاضــة عند قرية الصــيادين ، فاخاضــوها الخيل"[1] اما الطبري فيذكر ان ســعدا "اقام في بهرســير اياما من صــفر يريدونه على العبور فيمنعه الابقاء على المســلمين ، حتى اتاه اعلاج فدلوه على مخاضــة تخاض الى صــلب الوادي"[2] ، ومن المعروف ان مناسيب دجلة والفرات ترتفع في فصل الشتاء والربيع بسبب سقوط الامطار وذوبان الثلوج في اواخر الربيع على قمم الجبال ، اما في فصل الصيف فيقل منســـوب نهري دجلة والفرات حتى تظهر عليه الجزر في بعض مناطق مجاريه حتى يســـتطيع الفرد عبور نهر دجلة او الفرات من بعض مناطقه مخاضـــة اما في وقت الفيضان فتنعدم اهمية المخاضة بسبب ارتفاع منسوب مياه النهر، والدليل على ذلك ان عملية العبور في بدايتها اقتصر على الفرسان دون المشاة .

---

(1) فتوح البلدان ، ج2 ص323.

(2) تاريخ ج4 ص9 ؛ ابن الاثير ، الكامل ج2 ص511

المبحث الثالث

أثر التضاريس

1 ـ الصحراء:

قاتل العرب على اطراف الصحراء وذلك جريا على المبدأ العسكري السائد عند العرب "اعط ظهرك للصحراء تسلم[1] ويظهر هذا في عدد من المعارك التي خاضها العرب المسلمون ضد اعدائهم الفرس ومن هذه المعارك معركة ذات السلاسل[2] سنة 12هـ/633م ومعركة الفراض[3] 12هـ/633 م ومعركة البويب[4] سنة 13هـ/634م فنجد ان هذه المعارك قد وقعت على اطراف الصحراء فكان النصر حليف المسلمين.

وفي سنة 14 هـ / 635م كتب المثنى بن حارثة الشيباني τ الى الخليفة عمر بن الخطاب τ يعلمه بتحشد الفرس في المدائن لقتال المسلمين ، فاجابه الخليفة بقوله "تنح الى البر وادع من يليك واقم منهم قريبا على حدود ارضك وارضهم حتى يأتيك امري"[5].

وكتب المثنى بن حارثة الشيبانيτ الى القائد سعد بن ابي وقاص τ وهو بزرود يوصيه ان يقاتل اهل فارس "على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب

---

(1) طه عثمان الفراء ، جغرافية معركة اليرموك ، بحث مستل في مجلة الدارة ، العدد الثالث ، ديسمبر 1984؛ ص27.

(2) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص348– 349 ؛ محمود الدرة، تاريخ العربي العسكري،ص308– 309.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج2ص385–384؛ صالح مهدي عماش،من ذي قار الى القادسية ص78 – 79.

(4) النويري ، نهاية الادب ، ج19 ص108 ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص354؛ النجار ، عبد الوهاب ، الخلفاء الراشدون ، ص122 – 123.

(5) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص482؛ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي دار الرشيد 1981 ص358، ياسيين سويد ، الفن العسكري الاسلامي في اصوله ومصادره ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت ، 1409 هـ – 1988 ص 244؛ اللواء الركن علاء الدين حسين مكي خماس ، فن الحرب عند العرب ، ص347.

وادنى مدره من ارض العجم ؛ فان يظهر الله المســـلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وان تكن الاخرى فاءوا الى فئة ، ثم يكونوا اعلم بسـبيلهم واجرأ على ارضـهم الى ان يرد الله الكره عليهم"[1].

وقد جاء رأي الخليفة τ مطابقاً لرأي المثنى τ ، عندما كتب الخليفة الى القائد سعد τ وهو بشراف يقول له "اذا انتهيت الى القادسية ... فتكون مسالحك على انقابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا احسوك انغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتســـبتم لقتاله ونويتم الامانة ، رجوت ان تنتصـــروا عليهم، وان تكن الاخرى كان الحجر في ادباركم ، فانصرفتم من ادنى مدرة من ارضهم الى ادنى حجر من ارضكم ، ثم كنتم عليها اجرأ وبها اعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها اجهل ، حتى يأتي الله بالفتح ويرد لكم الكرة."[2] وهذا يدلل على اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب τ بدراســـة الارض وبطبيعتها الجغرافية[3].

ويبدو مما تقدم ان العرب قاتلوا على اطراف الصـــحراء لاســـباب منها انهم يلجئون إلى الصـــحراء اذا مـا افلح عـدوهم في منـاجزتهم وليتمكنوا من ان يحموا ظهورهم بها ، ويتخذوا منها خطاً لرجعتهم وبالرغم من ان الامبراطورية الفارســـية والرومية كانتا تمتلكان جيوشـــا كبيرة إلا انها لم تســـتطيعا التوغل في الصـــحراء لعدم معرفتها بطبيعتها الجغرافية وطرقها ومصـــادر المياه فيها في حين نجد ان العرب قد ألفوا تلك الطبيعة.

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص494؛ ابن الاثير في الكامل ، ج2 ص453

(2) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص494؛ ابن الاثير ج2 ص454.

(3) نهاد عباس شـهاب الجبوري، تدابير الامن العسكري في صـدر الاسـلام ، دار الحرية للطباعة بغداد 1984؛ ص51

2 - الجبـال:

لم يغفل المسلمون عن أهمية الجبال في معاركهم ضد اعدائهم، وقد تمثل ذلك بأمر الخليفة عمر بن الخطاب τ عندما وصل المسلمون إلى سفوح الجبال التي تفصل بين العراق وفارس، فاراد الخليفة τ ان يكون الجبل حداً طبيعياً يقف عنده المسلمون وقال : "وددت ان بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصـــلون الينا منه ولا نصـــل اليهم"[1] ، وعندما بلغ الخليفة عمر بن الخطاب τ ان حرقوص بن زهير[2]، قد نزل في جبل الاحواز كتب اليه الخليفة عمر بن الخطاب τ وقال"بلغني انك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤتى فيه الا على مشـقة فاسـهل..."[3]، أي أراد النزول في المناطق السـهلية التي لا تؤدي بالجند الى مشقة او تعب.

وفي معركة مروالروذ سـنة 22هــــ / 643م كان للجبل والنهر اثر فيها، فقد علم الاحنف بن قيس τ ان العدو قد جمع له، فخرج في عســكره ليلا يلتمس الأخبار، فمر برجلين يقول احدهما للاخر "لو ان الامير اسندنا إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عـدونـا خنـدقـاً وكـان الجبـل في ظهورنـا من ان نُؤتى من خلفنـا"[4]، وهـذا يـدل على ان عامة المقاتلين يشـــاركون القادة في التفكير والتخطيط للاســتفادة من العامل الجغرافي المتمثل في الجبل والنهر، وقد اخذ الاحنف بمشـــورتهما فلم يقاتل العدو إلا من جهة واحدة وقد انتصر عليهم.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4 ص79، ابن الاثير، الكامل، ج2 ص513، النووي، نهاية الارب، ج19 ص248، أحمد محمد حسونه، اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية، ص26.

(2) حرقوص بن زهير، له صحبة مع رسول الله ρ ، قاتل الفرس وفتح سوق الاهواز ونزل بها، قتل سنة 37هـ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ج1 ص474-475 ؛ الذهبي، تجريد اسماء الصحابة، ج1 ص126.

(3) الطبري، تاريخ : ج4 ص78.

(4) الطبري : ج4 ص169.

ومن المؤكد ان الخبر المنسوب الى سارية بن زميم [1] ، عندما سمع الخليفة عمر بن الخطابτ يقول له: "يا سارية الجبل الجبل"[2] يشير الى اهمية التعرف على المواقع والانحياز الى المرتفعات لحماية الجيش.

وفي سنة 32هـــ/653م قاتل الاحنف بن قيس اهل مرو الروذ[3] بعد أن جمع له العدو من طخرستان[4] والجوزجان[5] والطالقان[6] والفاريان[7] حتى كانوا ثلاثين الفاً فبلغ الاحنف خبرهم، إذ مر برجل فسمعه يقول : "انما ينبغي على الاميران يقاتلهم من وجه واحد داخل الشعب"[8] فقاتلهم الاحنف فجعل نهر المرغاب[9] عن يمينه والجبل عن يساره فلم يقاتل الا من وجه واحد وبذلك أمن جنبتا الجيش نم أي حركة التفاف يريدها العدو فانتصر عليهم بفضل استغلاله للطبيعة المتمثلة بـ (النهر والجبل)، وعندما بلغ الخليفة عمر بن الخطاب τ غلبة الاحنف بن قيس على المروزيين، (مرو الروذ

---

(1) سارية بن زميم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن عمية بن عبد بن عدي بن الديل بن مر بن عبد مناة بن كنانة، ارسله الخليفة عمر بن الخطاب τ سنة 23هـــ الى بلاد فارس فوقع في خاطر الخليفة عمر τ وهو يخطب في يوم الجمعة ان الجيش المذكر لاقى العدو وهو في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل فقال في اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل فسمع سارية صوته فانحازوا الى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم؛ ابن الاثير: اسد الغابة، ج2، ص306 ؛ الذهبي: تجريد اسماء الصحابة، ج1، ص203. ابن حجر، الاصابة، ج2 ص7-8.

(2) الطبري ، تاريخ ، ج4 ص187، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج7 ص134.

(3) مرو الروذ: مدينة قريبة من مر الشاهجان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7 ص253.

(4) طخرستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشمل على عدة بلاد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6 ص252.

(5) الجوزجان: وهي بين مر الروذ وبلخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3 ص90-91.

(6) الطالقان: هي اكبر مدينة بطخرستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6 ص239-241.

(7) الفاليان : مدينة مشهورة بخراسان من اعمال الجوزجان قرب بلخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6 ص240.

(8) البلاذري، فتوح : ج3 ص503، الطبري : ج4 ص311-312، ابن كثير : البداية والنهاية، ج7 ص131.

(9) والمرغاب:نهر يسيح بمرو الروذ ثم يفيض في رمل ثم يخرج بمرو الشاهجان؛البلاذري فتوح البلدان، ج3 ص503.

ومرو الشـــاهجان وبلخ) نهاه عن العبور إلى ما وراء النهر وقال "فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم باي شيء دخلتم خراسان، فداوموا على الذي دخلتهم به خراسـان يدم لكم النصـر، واياكم ان تعبروا فتنفضـوا"[1]، وبذلك يتضـح من وصـية الـخـلـيـفـة عـمـر بـن الـخـطـاب τ لـلأحـنـف بـن قيس τ بالاستفادة من العوامل الجغرافية المتمثلة في الجبل بإسناد ظهورهم اليه حتى لا يـأتيهم العـدو من خلفهم ، وأن يجعلوا النهر خنـدقـاً بينهم وبين عـدوهم وأن يقـاتلوهم من وجـه واحـد حتى تبقى ظهيرتهم آمنـة من أي حركـة التفـاف يقوم بها العدو.

---

(1) الطبري، تاريخ ، ج4 ص168.

الفصل الثالث

أثر العوامل الجغرافية في جبهة بلاد الشام

المبحث الاول

أثر العوامل المناخية

1 – الامطار:

لم تخلُ جبهة من جبهات الفتوح من عامل الأمطار وأثره في المعركة، فنجد المسلمين في بلاد الشام قد استطاعوا التغلب على عدوهم وحيازة النصر إلى جانبهم على الرغم من الأحوال الجوية التي لا تتفق وطبيعة العربي الذي ألف الحر ولم يألف المناخ البارد والثلج أبداً إلا اننا نجد الأمطار في كل موضع تكون عوناً للمسلمين على أعدائهم. ومن امثلة ذلك معركة مرج الديباج ، فعلى اثر فتح دمشق سنة 14هـ / 635م صلحاً سمح المسلمون لحاكم المدينة وحاشيته بحمل امتعتهم والخروج إلى أي بلد شاءوا، وكان من ضمنها ثلاثمائة حمل ديباج[1] وحللاً ذهبية[2]، وعندما شاهد القائد خالد بن الوليد τ هذه الاحمال والامتعة والديباج والحلل الذهبية تخرج من المدينة قال: "اللهم اجعله لنا وملكنا اياه واجعل هذه الامتعة قوة للمسلمين"[3]، وبذلك اراد القائد خالد بن الوليد τ ان يضرب العدو في موضع يؤذيهم به وهو الجانب الاقتصادي ولتقوية المسلمين به، فقرر القائد خالد بن الوليد τ متابعة السير في منطقة جبلية بدلالة رجل من دمشق وكان المطر ينزل بغزارة، فساهمت تلك الامطار في إعاقة سير قافلة الروم عن الحركة ، وتمكن

---

(1) الواقدي ، فتوح الشام، ج1 ص74.

(2) الواقدي، فتوج الشام، ج1 ص74.

(3)الواقدي، فتوج الشام، ج1 ص74.

المسـلمون على الرغم من المطر الغزير من اللحاق بالقافلة، إذ انهم واصـلوا سـيرهم طيلة الليل والمطر ينزل عليهم كأفواه القرب[1]. وفي الصباح ادرك القائد خالد بن الوليد القافلة على مسافة قصيرة من انطاكية، على سهل مرتفع وراء سلسلة جبال الابرش، والروم تسميه (باردة)[2] فاستطاع القائد خالد بن الوليد τ القضاء على حرس القافلة والعودة بالاحمال الى مدينة دمشق وتسمى المعركة بذلك السهل الذي دارت عليه الموقعة وهو (مرج الديباج) او معركة مرج الديباج[3]، نسبة الى الديباج الذي غنمه المسلمون في المعركة.

ومن المعارك التي سقطت فيها الامطار وأدت الى توقف القتال بين العرب والروم بسبب غزارة الامطار، تلك الوقعة التي حدثت حول فلسطين ، وقد لحق الاذى بجيش المسلمين لانهم كانوا بدون أخبية ولا بيوت مما ادى بالمسلمين الى الانسحاب الى الجابية[4] وتستروا بدورها، وقد ذكر الواقدي ذلك بقوله "ان المطر كان رحمة الله بالمسلمين ان وقع في قلب العدو الرعب..."[5]، مما ادى بالروم الانسحاب الى قيسارية وقد استمر سقوط المطر لمدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع توقف المطر وطلعت الشمس، وخرج المسلمون يطلبون عدوهم فلم يجدوا له اثرا[6].

وكتب عمرو بن العاص إلى ابي عبيدة عامر بن الجراح يعلمه بانتصار المسلمين في موضع يُقال له نخل وانهزم العدو.

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص77؛ الجزال أأ كرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد، ص414.

(2) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص78؛ الجزال أأ كرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ص414.

(3) الجزال أأ كرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ص414.

(4) الجابية: قرية من اعمال دمشق، بنظر الحموي ياقوت، معجم البلدان ج3 ص21 ؛ الحميري، المعطار في قبر الاقطار، ص153-155.

(5) الواقدي، فتوج الشام، ج2 ص28.

(6) الواقدي، فتوج الشام، ج2 ص28.

2 - البــرد:

كان لانخفاض درجات الحرارة في فصل الشتاء اثره على معارك المسلمين مع الروم ومن امثلة ذلك عندما ارسـل الخليفة عمر بن الخطاب τ الى جعونة بن الحارث وكان عامله على غزاة، بعد ان علم ان رجلا من المسلمين قد عدلت به دابة فساخ في الثلج وهلك فقال له عمر τ "اياك وغزوات الشـتاء، فوالله لرجل من المسـلمين احب الي من الروم وما حوت"[1]، في سنة 15هــ / 636م تقدم القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح τ إلى بعلبك [2]، وعندما انتهى إلى المدينة رأى البلد وامتناعه وكثرة رجاله وشدة برده [3]، فقد لقي المسـلمون بردا شـديدا اثناء حصـار مدينة بعلبك وقد روى الواقدي عن غياث بن عدي الطائي قوله "حاربنا اهل بعلبك في اول يوم فاصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا، واصـيب من الروم على الاسـوار خلق كثير من اهل الحرب وغيرهم، وانصـرف المسـلمون إلى رحالهم وما لهم همة إلى طعام ولا الشـراب ولا يريد احد منا الا الاصطلاء بالنار من شدة البرد"[4].

ومن اجراءات القائد ابي عبيدة عامر بن الجراح τ للتخفيف من اثر ذلك على المقاتلة، انه أمر جنده في اليوم الثاني من حصـار المدينة وكان اشـد بردا من اليوم الأول فقال "على كل رجل من المسلمين لا يبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى ينفذ رحله ويصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو" [5].

---

(1) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3 ، دار الارشاد للطباعة، (بيروت 1969) ، ص384؛ د. علي محمد المياح، وصـايا الحرب في التراث، دار الحرية للطباعة (بغداد 1986)، ص26 –27.

(2) بعلبك: مدينة بينها وبين دمشـق ثلاثة ايام، ياقوت الحموي معجم البلدان ج2 ص358–359 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص109.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص116.

(4) الواقدي ،فتوح الشـام، ج1 ص118؛ بسـام العسـلي، مشـاهير قادة الاسـلام، ابو عبيدة عامر بن الجراح، دار النفائس (1982) ص43.

(5) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص119، بسام العسلي، ابو عبيدة عامر بن الجراح ص43.

وبذلك اراد القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح τ من المقاتلة اعداد وجبة غذائية ســـاخنة تزيد من قوة وقابلية المقاتلة وذلك لمقاومة البرد، وكانت هذه الوجبة الغذائية سـببا في تأخر هجوم المسـلمين على المدينة، فاراد حاكم بعلبك ان يفاجئ المسـلمين بالهجوم، لكن قوات المسلمين تصدت للهجوم بثبات من خلال صمودهم المتميز حتى اجبروا حاكم المدينة على التسليم وعقد الصلح [1].

وفي معركة الدروب سـنة 15هـــ/637م التي كان يقودها ميسـرة[2] بن مسـروق العبســي، ســلك الجيش دروب بغراس[3]، وقد وصــف الواقدي الطريق الذي ســار به الجيش، انها بلاد شديدة البرودة كثيرة الشجر والمدر وفيها مضايق وشعاب واودية [4] وكان الفارس لا يستطيع ركوب جواده من شدة الانحدار، فسار الجيش ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع انتهوا إلى ارض سهلية، وكان دخولهم اليها في بداية الصيف وقد اصاب جند المسلمين فيها البرد[5]. وربما كان ذلك في الليل لان المسلمين وصلوا إلى المنطقة متخففين.

وفي حصــار بيت المقدس سـنة 15هـ/638م صـبر المسـلمون على البرد والمطر والثلج الذي استمر اربعة اشهر حتى فتحت المدينة صلحا[6].

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص119.

(2) ميسرة بن مسرق العبسي: هو احد التسعة الذين وفدوا على النبي محمد ρ فقال : يا رسول الله ما زلت حريصا على اتباعك فاسلم حسنة اسلامه وقال الحمد لله الذي استنقذني بك من النار وكان له من ابي بكر منزلة، ابن الاثير، اسد الغابة، ج5 ص385.

(3) بغراس : وهي مدينة تبعد عن انطاكية اربعة فراسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2ص368.

(4) الواقدي، فتوح الشام، ج2 ص6.

(5) الواقدي ، فتوح الشام ، ج2 ص6.

(6) الواقدي ، فتوح الشام ، ج2 ص217.

وفي حصار حمص[1] سنة 15هـ/637م، لقي المسلمون بردا شديدا، فقد كان قدومهم اليها في فصل الشتاء، وكان من خطة الروم ان يقاتلوا المسلمين في كل يوم بارد، وكأنهم يعلمون بضعف العرب أمام البرد إذ لم يألف العرب ذلك من قبل، في حين اعتاد عليه الروم، وقد ذكر الطبري ان هرقل قال لاهل حمص "بلغني ان طعامهم لحوم الابل وشرابهم البانها، وهذا الشتاء فلا تقاتلوهم الا في كل يوم بارد فانه لا يبقي إلى الصيف منهم احد..." [2].

ويبدو ان الروم تهيؤا لقتال المسلمين، فجمعوا كميات كبيرة من الاقوات والاعلاف استعدادا للقتال، وقد اجبروا المقاتلة العرب على تحمل البرد.

وقد راهن الروم على عدم صبر المسلمين على برودة الشتاء، وانه سوف يفتك بهم، وان الروم قد تواصوا فيما بينهم على المطاولة والصمود بوجه المسلمين وقالوا "تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا اصابهم البرد تقطعت اقدامهم..."[3].

وبعد ان افرغ الله سبحانه وتعالى على عباده المجاهدين الصبر، كانت الغلبة على الرغم من قلة تجهيزات المسلمين وبساطتها، لانهم كانوا يحملون رسالة وهدفاً اعلى يدفعهم نحو الاستبسال والصمود حتى نصرهم الله على عدوهم، في الوقت الذي اختار الروم بأنفسهم ظروف المعركة وتوقيتاتها.

اما الروم فقد تراجعوا في حربهم مع المسلمين وقد "سقطت اقدام بعضهم في خفافهم وان المسلمين لفي النعال ما اصيب اصبع احد منهم"[4]، وبذلك انتصر المسلمين على اعدائهم.

---

(1) حمص : بلدة مشهورة بين دمشق وحلب، الحموي ياقوت معجم البلدان ج3 ص182.

(2) الطبري، تأريخ، ج3 ص599؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص491؛ النوبري، نهاية الارب، ج19 ص162، ابن كير، البداية والنهاية ج7 ص53.

(3) الطبري، تاريخ، ج3 ص600، ابن الاثير، الكامل، ج2 ص491، بسام العسلي، فن الحرب الاسلامي ج1 ص151 الجزال أأ كرم، سيف الله خالد بن الوليد، ص441، الخضري بيك، محاضرات، ج2 ص4.

(4) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله، ج3 ص217.

ومما تقدم يبدو ان المسلمين استطاعوا منازلة اعدائهم في ظروف مناخية مختلفة كسقوط المطر والثلج والبرد، حتى ان العدو قد علّق آماله بالنصر على مثل تلك الظروف المناخية وقسوة الطبيعة من اجل القضاء على المسلمين، لكن المسلمين صبروا على مثل هذه الاوضاع حتى تم لهم النصر بعون الله تعالى.

3 – اتجاه الريح والشمس:

اهتم المقاتلة العرب بالظواهر الجوية السائدة في ميدان المعركة، ففي معركة اليرموك سنة 13هـ/634م حرص العرب أن تكون الشمس في أعين العدو وهذا يرتبط بالمكانة الذي اختاره العرب المسلمون لحشد قواتهم الذي يمتد من جنوب بلدة نوى[1] والى شرق الجولان[2] ولهذا الموقع ميزات كثيرة، منها أن تكون الشمس في ظهور العرب وفي أعين العدو، مما جعلها عاملاً لتسهيل النصر للمسلمين[3].

وأشار الهرثمي الى أهمية ذلك بقوله "توخ أن تكون الريح والشمس من وراء ظهرك.."[4]

ويذكر كلوب أن رياحاً قائضة رملية شديدة الهبوب، هبت في وجوه الروم وأخذت بسحب الرمال والتراب تلطم وجوه جند الروم[5].

ويبدو أن الريح قد أثرت عليهم لأنها قد حدت من حركتهم وحجبت الرؤيا عنهم في حين ان هذه الريح قد اعتاد عليها العرب على عكس الروم، وبذلك ساهمت الريح في تعزيز نصر المسلمين على اعدائهم.

---

(1) نوى : بلدة من أعمال حوران وقيل هي قصبتها، معجم البلدان ج8 ص403.

(2) الجولان: : قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران، ينظر الحدي، بانون، معجم البلدان ح3 ص95.

(3) محمود شاكر،تخطيط المسلمين للقتال، بحث مستل من مجلة الفيصل، العدد 102 أيلول 1985، ص40.

(4) الهرثمي، مختصر ساسة الحروب، ص33.

(5) جلوب، الفتوحات الاسلامية ، ص306-307.

4 - العوامـل البيئيـة:

تعد العوامل البيئية وما يرتبط بها من آثار على حياة الإنسان سبباً يرافق الفتوحات ويحد من توسعها من خلال التضحيات التي مُنيَ بها جيش المسلمين في الأرواح، ولم تغفل المصـــادر أثر هذا الجانب على المقاتلة العرب ولهذا أطلقوا على الأمراض التي كانت تصـــيب المقاتلة تســميات متعددة منها عامة ومنها خاصـــة، فقد ذكرت بلفظ الوباء[1] الذي يعني فيه عموم الأمراض التي تصـــاب بها الناس[2]، وهناك أمراض خاصـــة تحمل اســـم الداء ومنه الطاعون[3] حيث يذكر ابن حجر "لم يكن كل وباء طاعون بل الطاعون هو وباء"[4].

وهذا يدلنا على أن الطاعون هو المرض الخاص والوباء هو المرض العام وتكون لفظة الطواعين أحياناً شاملة والأمراض الأخرى خاصة[5].

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الأزهرية (مصـــر، 1930،1348) ص239.

(2)عبد اللطيف البغدادي، ابن يوســف بن محمد بن علي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشـــاهدة والحوادث المعـاينـة بـأرض مصـــر، دراســـة وتحقيق محمـد علي مطبعـة التعليم العـالي (بغـداد 1407هـ - 1987م)، ص162-168.

(3) الطاعون: غدة تخرج في الأعراق والآباط وقد تخرج في الأيدي والأصـــابع، وقيل هو هيجان الدم وانتفاخه، وقيل هو خبات الدم، وذكر في موضـــع آخر أنه بثق ووركم مؤلم جداً يخرج مع لهب ويســود ما حواليه أو يخضره أو يحمره حمرة شديدة ويحصل معه خفقان وقيء، وذكر ابن سينا ((الطاعون انه مادة سمية تحدث ورماً قتالاً في المواضع الرخوة والمفاين من البدن، ينظر ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي ، فتح الباري في شرح صحيح مسلم البخاري، تحقيق عبد العزيز الباز وآخرون، دار الكتب العلمية (بيروت بلا ت) ج10 ص164، ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ج4 ص38 ، السيوطي: مخطوط بذل الماعون في أخبار الطاعون، ورقة 252؛ غامس خضـير حسن الدوري، الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباسية، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب مطبوعة بالآلة الطابعة بغداد 1417هـ -1996م، ص202

(4) احمد بن علي ، فتح الباري في شرح صحيح مسلم والبخاري ج10 ص164.

(5) غامس خضير حسن الدوري، الكوارث الطبيعية، ص202.

ومن آثار الطاعون انه يترك وفيات كثيرة، وقد ذكر المقريزي "أن المصـــاب به يموت بعد خمسين ساعة أو أقل"[1].

ومن أسـباب المرض الذي يؤدي الى موت المقاتلة بصـورة خاصـة والناس بصـورة عامة انه غالباً ما يرجع الى فســاد الهواء فيؤدي الى وقوع الوباء وهذا ما أكده ابن خلدون في المقدمة بقوله "وأما كثرة الموتان فلها أســبابها ... ووقوع الوباء وســببه في الغالب فســاد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاســدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائماً فيسري الفساد الى مزاجه فإن كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضـها مخصـوصـة بالرئة وإن كان الفســاد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضــاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك، وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة..."[2].

وهذا ما أكده ابن الأزرق بقوله "إن الأهوية العفنة أكثر ما يهيئها لتعفن الأجســام وأمراض الحميات، فإذا تخللها الريح وتفاشــت، وذهبت بها يميناً وشــمالاً خف شــأن العفن"[3].

---

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك، صـحـحه محمد مصـطفى زياد، دار الكتب المصـرية القاهرة 1934، ج2 ص77.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص239.

(3) ابن الأزرق، أبي عبد الله بن الأزرق، بدائع السلك في صنائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة (بغداد 1398، 1978) ج2 ص278.

ومن الأمراض التي أصـــابت جيش المســـلمين بســـبب عفونة الهواء طاعون عمواس[(1)]، فقد راح ضـــحية هذا المرض العديد من المقاتلة والقادة حيث بلغ أكثر من عشـرين ألف[(2)] ومنهم أبو عبيدة عامر بن الجراح τ[(3)]، وعددا من الصـحابة (رضـي الله عنهم اجمعين)[(4)].

ومن آثار مرض الطاعون كثرة الشهادة في صفوف المسلمين حتى "طمع له العدو، وتخوفت له قلوب المســـلمين، كَثُر موته، وطال مكثه أشـــهراً حتى تكلم الناس في ذلك"[(5)].

ويبدو أن اســتشــهاد عدد كبير من جيش المســلمين قد أثّر على حركة الفتح، حتى اننا نجد مد الفتح قد توقف في تلك السنة[(6)].

ومن الإجراءات التي اتخذتها الدولة للحد من المرض هو الحجر الصـــحي حيث روى البخاري عن النبي ذلك بقوله "إذا ســمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع

---

(1) عمواس: كوره من فلســـطين بالغرب من بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون، الحموي ياقوت، معجم البلدان ح6 354- 355.

(2) خليفة بن خياط ، تأريخ خليفة بن خياط، ج1 ص109، الطبري تأريخ، ج3 ص60 ابن عســـاكر، تأريخ مدينة دمشق، المجلد الأول ص577-658؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص354.

(3) اشـتهر بكنيته ونسـبه الى جده فيقال ابو عبيدة بن الجراح وهو احد العشـرة المبشـرة بالجنة وشـهد بدر واحد والمشاهد كلها مع الرسول ρ وهو من السابقين للاسلام ، هاجر الى الحبشة والمدينة المنورة قال عنه الرســـول محمد ρ لكل امة امين وامين هذه الامـة ابو عبيدة عامر بن الجراح وقال ابو بكر الصديق يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح، وكان احد الامراء المسـيرين الى الشـام الذي فتح دمشـق، ولما نزل الطاعون كان ابو عبيدة الجراح معافى منهم وقال اللهم نصـيبك في آل عبيدة فادركته الوفاة فتوفى وعمره ثمان وخمسـون سـنة، ابن الاثير ، اسد الغابة ج3 ص130-131؛ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، ص241-242

(4) معاذ بن جبل τ ، والحارث بن هشامτ ، وسهيل بن عمروτ ، عتبة بن سهيل τ ، شرحبيل بن حسنة τ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج7 ص95-98 .

(5) الطبري، تأريخ، ج3، ص63.

(6) الطبري، تأريخ ، ج4 ص96-101.

بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"[1]، وذلك للحد من انتشـــار المرض والتقليل من آثاره، وقد أخذ الصـحابة بتعاليم الرسول ρ في ذلك ومنهم الخليفة عمر بن الخطاب τ عندما تحرك الى الشـام وعلم من أمراء الاجناد بأن الطاعون قد فشـا فيهم، امتنع من الدخول، مطبقاً تعاليم الرسولρ بخصوص المرض[2].

وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب τ الى أبي عبيدة عامر بن الجراح τ قال "فإنك أنزلت الناس أرضـاً غمقه[3]، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة"[4]. وفي رواية اخرى كتب الخليفة عمر بن الخطاب τ الى ابي عبيدة عامر بن الجراح τ عندما وقع طاعون عمواس قال: "ان الاردن ارض غمقة وان الجابية ارض نازية فاظهر بمن معك من المسلمين الى الجابية"[5] وقد أكد ذلك عمرو بن العاص τ عندما اشتد الطاعون حيث قال "... فتجبّلوا منه في الجبال"[6].

ويبدو مما تقدم أن العرب المسلمين نزلوا أرضـاً وخمه فأراد الخليفة τ أن ينقل الجند الى مكان مرتفعة تتخللها الريح من أجل الســـلامة العامة للجند "... فإذا تخللها الريح وتفشت وذهبت يميناً وشمالاً خفّ شأن العفن والمرض..."[7].

---

(1) البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسـماعيل، صـحيح البخاري، دار الفكر بيروت، (بغداد 1986) ج4 ص14.

(2) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، المجلد الأول ص553، ابن الأثير، الكامل، ج2 ص56.

(3) غمقة: من العمق، وهو فساد الريح الفيروز آباد، القاموس المحيط ح3 ص282.

(4) الطبري، تأريخ، ج4 ص61.

(5) الزمخشـــري/ محمود بن عمر الزمخشـــري الفائق في غريب الحديث ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، (لبنان بلا ت) ج3 ص 76.

(6) الطبري، تأريخ، ج4 ص62.

(7) ابن خلدون، تأريخ، ج1،ص291.

المبحــث الثــاني

أثـــر الميـــاه

1 - مياه الأنـهار:

اســــتخدمت مياه الأنهار كعامل من العوامل الجغرافية في التأثير على المعارك العســـكرية من خلال التدخل البشـــري فيها، وهذا حدث في معركة فحل[1] ســــنة 13هـ/634م، إذ ســــمع أبو عبيدةτ إن الروم قد اجتمعوا بفحل وأن المدد يـأتيهم من دمشـق، فكتب أبو عبيدة τ إلى الخليفة τ يعلمه بذلك ، مسـتشـيراً اياه ايبدأ بدمشـق أم بفحل فأجابه الخليفة عمر بن الخطاب τ "أما بعد فابدءوا بدمشـــق، فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم ..."[2].

وتسلم شرحبيل بن حسنة قيادة الجيش وكان "لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة"[3] فعلم الروم بمسير المسلمين إليهم فنزلوا بيسان – وبيسـان بين الأردن وفلسطين[4]. أما المسلمون فنزلوا فحل، وفجرت الروم الأنهار فأصـبحت الأرض موحلة فكان العرب في فحل والروم في بيسـان وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال[5] فلقي العرب عناءً كبيراً وذلك أن خيولهم قد وحلت في تلك المياه والأوحال التي اصطنعتها الروم.

أراد الروم مفاجأة المسلمين، مستفيدين من ظلمة الليل لأن الهجوم بدأ عند المساء، فاســتمرت المعركة إلى نهاية اليوم الثاني[6]، وعند المســـاء انهزمت الروم وتحركوا من

---

(1) فحل: اســم موضـــع بالشـــام كانت فيه وقعة للمســـلمين مع الروم، الحموي ياقوت، معجم البلدان ح6 ص416.

(2) الطبري، تاريخ، ج3 ص437-438، النويري، نهاية الارب، ج19 ص159.

(3) ابن الأثير، الكامل ج2 ص429-430.

(4) الطبري، تأريخ، ج3 ص434، الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج2 ص414.

(5) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص486.

(6) الطبري، تأريخ، ج3 ص443؛ ابن بدران، تهذيب تأريخ مدينة دمشــق، دار لمســيرة بيروت 1399-1979 ج1 ص 145 .

غير تفكير حتى أسلمتهم الهزيمة إلى ذلك الوحل بعد أن ضلوا طريقهم حتى انتهوا إلى الأوحال فوقعوا فيها "فكانت هزيمتهم في فحل ومقتلهم في الرداغ[1]"[2].

وعلى الرغم من أن المسلمين قد كرهوا القتال في المناطق الموحلة لأنها تعيق حركة الفرسان والمشاة إلا انها أصبحت فيما بعد عوناً لهم حتى ذكر ابن الأثير ذلك بقوله "وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون – كرهوا البثوق فكانت عوناً لهم على عدوهم"[3].

وقد بلغ عدد قتلى الروم في هذه المعركة ثمانين الفاً [4]، وقد تغنى الشعراء بهذا النصر الذي حققه العرب المسلمون على الروم ونجد ذلك في شعر القعقاع بن عمرو[5] حيث قال:

وغداة فحل قد رأوني معلماً ... والخيل تنحط والبلا أطوار

ما زالت الخيل العراب تدوسهم ... في حوم فحل والهبا [6] موار

حتى رمينا سرانهم عن اسرهم ... في ردغة ما بعدها استمرار [7]

2 - اثر البحر:

على الرغم من ان المسلمين استطاعوا فتح العراق وبلاد الشام، لكنهم لم يركبوا البحر، وبعد تحرير المدن الساحلية، احسوا باهمية الدفاع عنها إذ كانت تمتد من انطاكية شمالا الى برقة غربا، فبرزت الحاجة الى بناء اسطول بحري يحمي المدن

---

(1) الرداغ : الوحل الشديد، ينظر ابن الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ح3 ص109.

(2) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، المجلد الأول ص486-487.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج2 ص430.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج1 ص487، 488، ابن بدران، تهذيب، ج1 ص146.

(5) القعقاع بن عمرو هو اخو عاصم بن عمرو كان من الشجعان الفرسان، اسلم سنة 9 هجرية وشهد وفاة النبي ρ وشهد فتح مدينة دمشق وواقعة اليرموك وله تاريخ زاهر في فتوح العراق، قال عنه ابو بكر الصديق τ لصوت القعقاع في المعركة خير من الف رجل وله في قتال الفرس في القادسية وغيرها بلاء عظيم، ابن حجر، الاصابة، ج3 ص239.

(6) الهبا : الغبار. الرازي ، مختار الصحاح ، ص688

(7) القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة 1385-1965) ص155.

الساحلية من هجمات الروم، الذين سيطروا على البحر الشامي (البحر المتوسط)، وفي ذلك الوقت ادرك العرب تأخرهم في الملاحة البحرية، فقال ابن خلدون ذلك معللاً بقوله "ان العرب كانوا لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والفرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في التقلب على اعواده مرنوا عليه واحكموا الدربة[1]"[2].

ويرجع السـبب في عدم ركوب العرب البحر الى طبيعة بلادهم الصـحراوية والى سيطرة الاحباش والفرس على موانئ العرب البحرية مثل اليمن، عمان وحضرموت مما ادى الى احتكار تلك الاقوام بطرق التجارة البحرية مع الهند [3].

وبعد ان استقر العرب وعلا شأنهم في الاسلام استطاعوا بناء اكبر اسطول بحري، حتى انه تغلب على الاسطول البيزنطي ويصف ابن خلدون هذه المرحلة بقوله: "فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم خولاً وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صـنعة اليهم بمبلغ صـناعته واسـتخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية امما. وتكررت ممارستهم للبحر وثقافه. استحدثوا بصراء بها فشرعوا إلى الجهاد فيه وأنشأوا السفن فيه والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطروها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحار من امم الكفر. واختصـوا مما يكمم ثغورهم ما كان اقرب إلى البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقيا والمغرب والاندلس"[4].

كتب معاوية بن ابي سـفيان τ إلى الخليفة عمر بن الخطابτ يسـتأذنه في ركوب البحر وقال "ان قرية من قرى حمص ليسمع اهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم، حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر τ "[5].

---

(1) الدربة : الجرءة على الحرب، القاموس ج1 ص68 ؛ مختار الصحاح ص200.

(2) ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ج1 ص211.

(3) احمد مختار العبادي، عبد العزيز سـالم، تاريخ البحرية الاسـلامية في مصـر والشـام، (بيروت 1972)،ص14.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج1 ص211 .

(5) الطبري، تاريخ، ج4 ص258،؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص415.

ولشدة حرص الخليفة على ارواح الجند ولمعرفة الطبيعة الجغرافية لمنطقة العمليات العسكرية كتب الى والي مصر عمرو بن العاص τ يطلب منه وصف البحر على اثر الكتاب الذي بعث به معاوية بن ابي سفيانτ والذي يروم فيه ركوب البحر وغزو الروم فرد عليه وقال "اني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صـــغير، ان ركن فرق القلوب، وان تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة، والشـــك كثرة هم فيه كدود على عود، ان مال غرق وان نجا برق"[1]، ترى من هذا النص دقة وصف البحر من قبل والي مصر عمر بن العاص τ وكذلك عبقرية الفاروق τ في ذلك، فلما قرأ الكتاب قال "والذي بعث محمدا بالحق لا احمل فيه مسلما ابدا... وتاالله لمسلم احب الي مما حَوَت الروم" [2].

ولذلك حذر الخليفة τ، معاوية بن ابي ســـفيان τ فقال "فإياك ان تعرّض لي، وقد تقدّمت اليك وقد علمت ما لقي العلاء مني، ولم أتقدم إليه في مثل ذلك"[3].

ويبدو ان الخليفة عمر بن الخطاب τ قد أحس بخطر ركوب البحر، إذ لم يعتد العرب ركوبه من قبل، فكان البحر من العوارض التي تقف حائلا بوجه الفتوح، وعندما خبر العرب المسلمون البحر وركوبه فيما بعد اصبح من السهل ركوبه إذ استطاع العرب ان يفرضوا سيطرتهم على البحر الشامي (البحر المتوسط) والسيطرة على الجزر المهمة فيه.

وعلى الرغم من ان الخليفة عمر بن الخطاب τ لم يأذن لمعاوية في ركوب البحر، إلا انه عمد الى استخدام سياسة بحرية دفاعية وتظهر تلك السياسة عندما كتب معاوية τ بعد وفاة أخيه يزيد يصـــف له حال الســـواحل، فامره الخليفة τ "بترميم الحصـــون وترتيب المقاتلة فيها، واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها" [4].

---

(1)الطبري، تاريخ، ج4 ص258؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص415؛ ابن خلدون، تاريخ، المجلد الاول ص211.

(2)الطبري، تاريخ، ج4 ص258؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص415.

(3) الطبري، تاريخ، ج4 ص80–81؛ النويري ، نهاية الارب، ج19 ص49.

(4) البلاذري ج1 ص152.

وظل معاوية τ يرقب الموافقة على ركوب البحر فلما ولي الخليفة عثمان بن عفان τ سنة 24هـ/644م واصل معاويةτ محاولاته في ركوب البحر، فكتب اليه يستأذنه في غزو (قبرص) في البحر ويعلمه سـهولة الامر فيها، فاجابه الخليفة عثمان بن عفان τ "اني قد شـــهدت ما رد عليك عمر رحمه الله"[1] فلم يأذن له، ولم ييأس معاوية τ من الكتابة مرة ثانية الى الخليفة τ فاجابه الخليفة τ الى ذلك ســـنة 27هـ وقال له "فان ركبت ومعك امرأتك فاركبه مأذونا لك والا فلا"[2] ، فركب معاوية τ البحر في مراكب كبيرة ومعه زوجته وعدد من الصـــحابة [3]، وذلك بعد ان انحســـر الشـــتاء، وقد أبحر معاوية من عكا ومعه عبد الله بن قيس (الذي يســـمى بأمير البحر) الى قبرص ويذكر ابن اعثم عدد المراكب التي ابحرت من عكا 220 مركبا[4] فهبت الرياح وهاج البحر فاضطرب بامواجه وفرق المراكب يمنة ويسرة وبعد ساعة هدأت الرياح فسارع المسلمون في مراكبهم حتى انتهوا الى قبرص فأرسل ملكها إلى معاوية τ يسأله الصلح فصالحوا حاكمها[5].

وفي معركـة ذات الصـــواري ســـنـة 34هـــــ/654م[6] خرج قســـطنطين بن هرقل في 1000 مركب[7] يريد الانتقام من المســلمين لما اصــابهم في افريقيا على ايدي المسلمين، فسار عبد الله بن سعد (والي مصر) حتى التقى باسطول الشام في عكا فابحروا منها [8].

وكانت الريح اثر في هذه المعركة البحرية حيث يذكر الطبري عن مالك بن اوس بن الحدثان انه قال "وكانت الرياح علينا، فارسـينا سـاعة، وارسـوا قريبا منا، وسـكنت

---

(1) البلاذري ، ج1 ص181.

(2)البلاذري ، ج1 ص181.

(3) ابن اعثم ج2 ص118.

(4) البلاذري ، فتوح البلدان، ج1 ص181، ابن اعثم ، فتوح ، ج2 ص118.

(5) ابن اعثم، فتوح ، ج2 ص119.

(6) الطبري ، تأريخ ، ج4 ص288، النويري ج19 ص415.

(7) الطبري ، تأريخ ، ج4 ص290، ابن أعثم ، الفتوح ، ج2 ص128

(8) ابن أعثم، فتوح ، ج2 ص128، خليفة بن خياط ، تاريخ ، ج1 ص145

الرياح عنا"[1]، وفي رواية ان كلا من الروم والمسـلمين امن بعضـهم بعضـا وقد طلب المسلمون من الروم القتال عند الساحل، فرفض الروم ذلك. وقالوا البحر[2]، وحدد بسام العسلي المكان الذي رست فيه السفن بأنه يقع بين جزيرة رودس ومدينة الميرة [3].

(1) الطبري ، تأريخ ، ج4 ص290.

(2) الطبري، تأريخ، ج4 ص290.

(3) فن الحرب الاسلامية في عهود الخلفاء الراشدين والامويين، دار الفكر 1408-1988، ج1 ص197

واشتبكت سفن المسلمين مع سفن الروم في معركة بحرية، فقد ربط المسلمون السفن بعضـها الى بعض، ويصـف عبد العزيز سـالم ذلك ان المسـلمين بهذا الاجراء حولوا المعركة البحرية الى معركة اقرب ما تكون الى المعارك البرية بربط السفن بعضـها مع البعض [1]، فكانت جزيرة عائمة على سطح البحر.

واشـــتد القتال بين الطرفين، واختلطت دماء القتلى بماء البحر، وطرحت الامواج بالقتلى الذين كانوا باعداد كبيرة الى ساحل البحر [2].

وللريح اثر في حســم نتيجة المعركة إذ انها هبت على مراكب الروم فشـــتتها باتجاهات مختلفة فما التقى فيها مركبان، فحلت بهم الهزيمة وخرج فيها قســطنطين بجراحات بليغة [3].

ومن الملاحظ ان العرب لم يقاتلوا في البحر عندما كانت الرياح عليهم فرســت ســفنهم ولم يبدأوا القتال حتى كانت الريح على الروم، فغرقت ســفنهم في البحر، وقد انتصر العرب لحسن استخدامهم هذا العامل.

(1) عبد العزيز سالم ، تأريخ البحرية الاسلامية، ص31.

(2) الطبري، تاريخ، ج4 ص290.

(3) ابن أعثم، فتوح، ج2 ص130؛ عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص31.

المبحـث الثـالـث

أثـــر التضـــاريس

1 - الصحــراء:

وإذا كانت الصـــــحراء عوناً للمســـــلمين في أكثر من موقع من مواقع القتال التي خاضـوها في جبهة الجزيرة العربية وجبهة العراق فإن جبهة الشـام لم تخلُ هي الاخرى من أثر الصـحراء ومثال ذلك في معركة مؤتة التي حدثت سنة 8هـ/629م عندما أرسل الرسـول محمد ρ جيشـاً من المسـلمين الى أطراف بلاد الشـام مكونا من ثلاثة آلاف مقاتل[1] "حتى نزلوا على معان[2] من أرض الشام"[3] بينما نزل الروم "مآب[4] من أرض البلقاء"[5].

كان أول تماس بين المسلمين والروم "في قرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف[6]"[7] ويبدو أن طبيعة مشـــارف لا تخدم المســـلمين فانحازوا إلى مؤته[8]، ولعدم التكافؤ بين الفريقين في العدد والعدة، واسـتشـهاد القادة الثلاثة[9] وهم زيد بن حارثة، جعفر بن ابي طالب و عبدالله بن رواحة الذي عينهم الرســـول ρ ، أخذ الراية ثابت بن أرقم τ فقال "يا معشر المسلمين: اصطلحوا على رجل منكم"[10] فاصـطلحوا على خالد بن الوليد τ حيث اسـتطاع خالد τ بمهارته العسـكرية أن يتراجع بجيش المسـلمين متجهاً صـوب

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2 ص54.

(2) معان : مدينة في طرف البادية تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ح8 ص285.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص373، محمود الدرة، تأريخ العرب العسكري، ص178.

(4) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، ياقوت الحموي معجم البلدان ح7 ص188.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص375، محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد، ص70.

(6) مشارف: جمع مشرف، قرى قرب حوران، ياقوت الحموي معجم البلدان ح8 ص268.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص129، ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، ص145.

(8) مؤته: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، ياقوت الحموي معجم البلدان ح8 ص338.

(9) الطبري، تأريخ، ج3 ص39.

(10) ابن الأثير الكامل، ج2 ص234؛ محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة ص67.

الصحراء، فقد عمد إلى سحب الجناحين بحماية القلب ولما أصبح الجناحان بمأمن عن العدو عمد إلى سحب القلب بحماية الجناحين إلى أن أتم عملية الانسحاب، فلم يستطع الروم ملاحقة جيش المسـلمين وذلك لخوفهم من الصـحراء لعدم معرفتهم دروبها ومسالكها وبذلك استطاع خالد بن الوليد τ ضمان سلامة الجند، باتخاذ الصحراء أرضاً جديدة للمعركة وهي أرض يندحر فيها العدو إذا ما لاحق المسلمين لان العرب يحسنون فيها قتال الكرّ والفرّ وتحمل العطش. وكانت هذه المعركة بداية الصراع مع الروم الذي توج بتحرير الشام فيما بعد[1].

ولم تقف الصـحراء عاملاً سـلبياً مؤثراً على حركة جيوش الفتح بل سـاهمت في تذليل عملية المناورة بالقطعات بين جبهة وأخرى، وهذا ما فعله خالد بن الوليد τ عندما استطاع قطع مفازة شاسعة لم يدر بخلد العدو إمكانية المرور عبرها وذلك لتعزيز جبهة الشام، فقد كتب إليه الخليفة أبو بكر الصديق τ [2] يأمره بالحركة من العراق إلى الشام لنجدة جيوش المسلمين في حربهم مع الروم، فذكر الواقدي أن الخليفة أبو بكر الصديق عيّن خالد بن الوليد τ قائداً لجيوش المسلمين، وقال "اني وليّتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم..."[3]. أما ابن اعثم، قد ذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب τ هو الذي أشار على أبي بكر الصديق τ أن يبعث إلى القائد خالد بن الوليد τ وهو بالعراق يامره بالتحرك إلى بلاد الشام ليكون عوناً للمسلمين على أعدائهم[4].

فعمد خالد بن الوليد τ تنفيذ أمر الخليفة الصـديق τ فسـار بنصـف جيش العراق باتجاه بلاد الشام [5]

---

(1) مروان اسود حمد ، تدابير الرسول فس شمال المدينة، ص21.

(2) خليفة بن خياط، تأريخ خليفة بن خياط، ج1 ص87 القاضـي، النعمان عبد المتعال، شـعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص89.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص24.

(4) ابن أعثم، الفتوح، ج1 ص132.

(5) الطبري تأريخ،ج3 ص46،ابن الأثير الكامل، ج2 ص407؛ ابن عسـاكر، تاريخ مدينة دمشـق، ج1ص463.

وقد اختلفت المصادر والمراجع [1] في تحديد تأريخ انطلاق خالد بن الوليد τ بجيشه من الحيرة والطريق التي سار فيها، والسبب في ذلك يعود إلى اتساع المنطقة التي كان العرب يتنقلون فيها بحرية وامتدادها من قرب أرض صـفين إلى دومة الجندل وما يليها جنوباً دون أن يكون لخصومهم أدنى رقابة عليهم[2].

لقد أدرك القائد خالد بن الوليد τ خطورة موقف جيوش الشـام مما حتم عليه أن يسلك أقصر الطرق المؤدية إلى بلاد الشام، فسار من "الحيرة إلى دومة[3]، ثم طعن في البر إلى قراقر[4]"[5]. ينظر الخريطة رقم (8)

(1) البلاذري، فتوح ، ج1 ص131، الواقدي، فتوح الشـام، ج1 ص230، الطبري، تأريخ، ج3 ص406 محمود الدرة، تأريخ العرب العسـكري، ص329؛ ياسـين سـويد، معارك خالد بن الوليد، ص233 محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد المخزومي، ط2 1970، ص142.

(2) أحمد محمد حسونة، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، ص32.

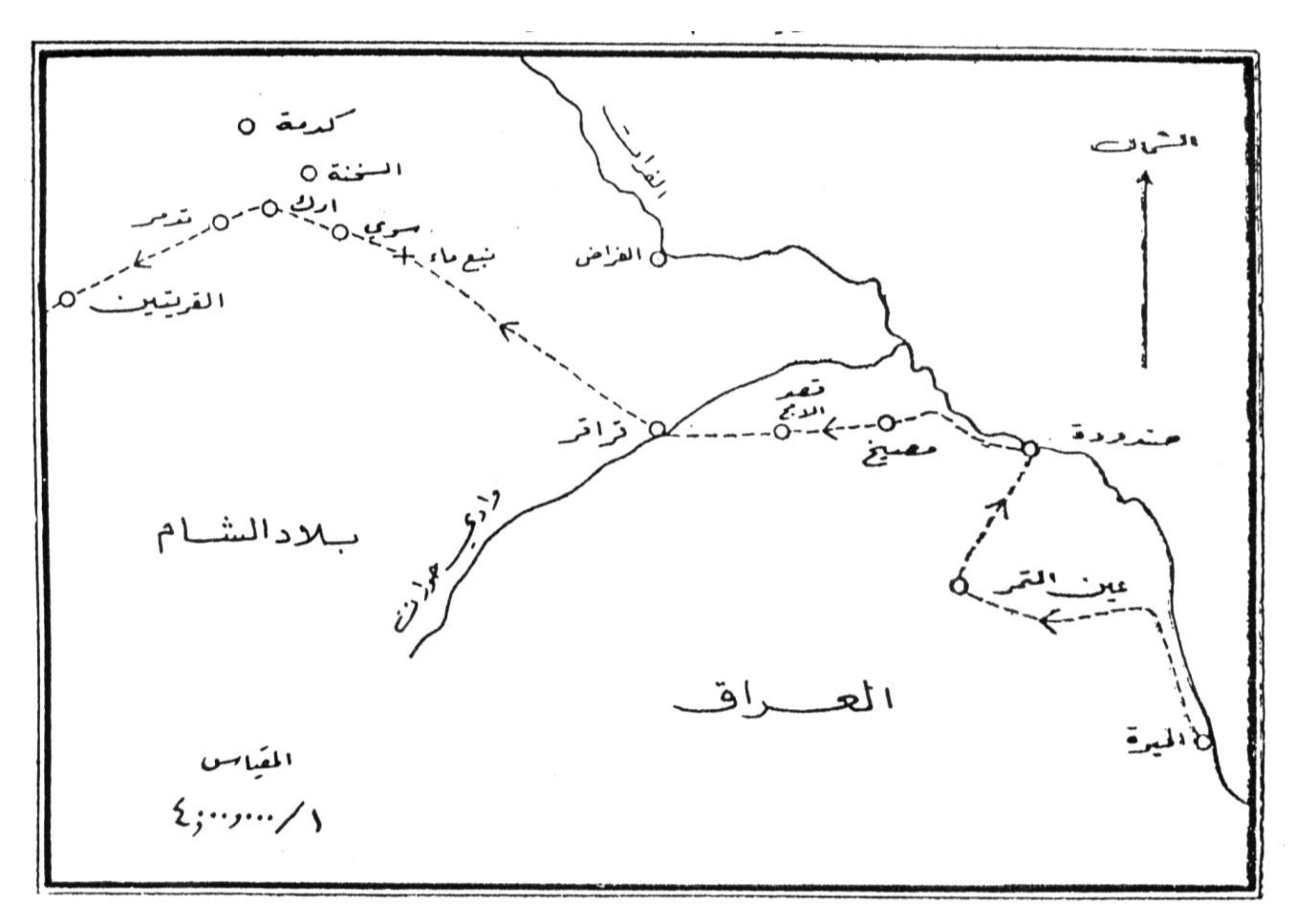
(3) والمقصـود بدومه هنا ليسـت دومة الجندل وذلك لأن اكيدر بن عبد الملك كانت لديه دومه في الحيرة قبل دومة الجندل، وكان اكيدر بن عبد الملك يتردد بين المنزلين، الحموي، ياقوت، معجم البلدان ج4 ص326، العميد محمد علي مادون، مسـير خالد بن الوليد من الحيرة – إلى اليرموك أو الدرب المفقود، دار الفكر – 1402هـ - 1982م ص20-21.

(4) قراقر: ماء لكلب، شطر ابن الأثير، الكامل ح2 ص408.

(5) الطبري، تأريخ، ج3 ص408.

خريطة رقم (8)

مسير خالد بن الوليد τ من العراق الى الشام



استلت من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد

للجنرال أأ اكرم

ومن هنا جاء الاختلاف في مسير خالد بن الوليد τ بسبب تشابه الأسماء.

وفي قراقر دعا القائد خالد بن الوليد τ الأدلاّء وقال "كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين، فكلهم قال: لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش، يأخذه الفذ(1) الراكب فإياك أن تغرر بالمسلمين"(2).

فأراد القائد خالد بن الوليد τ السير مفوزاً(3) من قراقر إلى سوى(4)، وبينهما خمسة أيام لا يوجد فيها ماء(5)، حيث كان مع القائد خالد بن الوليد τ أدلاء يعرفون سبل الصحراء ومنهم محزر بن قريش الذي قال لخالد τ "اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن، ثم امه تنفض إلى سوى"(6) وكان ادلهم.

كانت أمام خالد بن الوليد عدة طرق تصل به إلى الشام لكنه اختار طريق الصحراء الذي يتوارى فيه عن أنظار الروم ليحقق المباغتة لقوات الروم(7).

ومن أجل التغلب على مشكلة الماء، دعا القائد خالد بن الوليد τ أصحابه أن يستكثروا من الماء وأمر صاحب كل خيل أن يهيئ لها الماء بقدر ما يسقيها طيلة مدة سفره وجمع عدداً من الإبل السمان فظمأها حتى إذا أجهدها عطشاً أوردها الماء عللاً بعد نهل، فلما امتلأت صر آذانها وشد مشافرها(8) حتى لا تجتر فتعطش(9). وسار خالد

---

(1) الفذ : الفرد، ينظر مختار الصحاح، ص494.

(2) الطبري، تأريخ، ج3 ص408-409، عبد القادر بن بدران، تهذيب تأريخ دمشق الكبير دار المسلمين بيروت ط2 1979، ج1 ص137-138.

(3) المفازة : قال ابن الأعرابي سميت بذلك لأنها مهلكة من (فوز تفويراً) أي هلك وقال الأصمعي ؛ سميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفوز، ينظر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي ص514.

(4) سوى : ماء لبهراء من ناحية السماوى ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج5 ص84.

(5) ابن أعثم، الفتوح، ح 1 ص136.

(6) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج1 ص463، ابن الأثير، الكامل ج2 ص408.

(7) أأ اكرم سيف الله خالد بن الوليد ص334-336 ، ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، ص234.

(8) ابن أعثم، الفتوح، ج1 ص136-137، الطبري، تأريخ، ج3 ص409.

(9) البلاذري، فتوح البلدان،ج1 ص131.

بن الوليد بالجيش ومعه الأدلاء لتنفيذ أكبر مأثرة عسكرية في التأريخ، متخذاً الصحراء القاحلة طريقاً له ولجيشه، وكانت الرمال اللاهبة تلفح الوجوه وتلسع الأقدام، إلا أن المسلمين كانوا يستعينون على ذلك بأكل لحوم الإبل ويشربون مما معهم من الماء[1].

وقد سار الجيش أربعة أيام حتى أدركوا الري في اليوم الخامس وكان دليلهم رافع بن عمير[2] أرمد العين حيث استطاع أن يهتدي إلى الماء مما حصل للشعراء أن يتغنون به حتى قال أُحيحة القريشي فيه شعرا:

لله عينا رافع أنى اهتدى   والعين منه قد تغشاها القذى

معصوبة كأنها ملئت ثرى   فهو يرى بقلبه ما لا يرى

قلب حفيظ وفؤاد قد وعى[3]

---

(1) أأ اكرم، سيف الله خالد بن الوليد ص338.

(2) رافع بن عمير τ ، هو رافع بن ابي رافع الطائي السمبسي يكنى ابو الحسن كان دليل خالد بن الوليد τ عندما سار من العراق الى الشام فسلك به البر فقطعه في خمسة ايام شهد غزوة ذات السلاسل وصحب ابو بكر τ توفي سنة 23هـ ،ابن الاثير ، اسد الغابة ج2 ص195-196، الذهبي تجريد اسماء الصحابة ج1 ص174، ، ابن حجر ، الاصابة ج1 ص497-498.

(3) القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الاسلامية، ص154-155.

وقال أحد الشعراء بنفس المعنى متغنياً ببراعة دليله رافع بن عمير [1]:

فـوز مـن قـراقـر إلـى سـوى والسـير زعزاع[2] فمـا فيـه ونى
خمس إذا ما سـارها الجيش بكى في اليومين رواحـاً[3] وسـرى[4]

اسـتطاع القائد خالد بن الوليد τ من السـير في الصـحراء، وبذلك حقق مفاجئة استراتيجية لم يحسب لها العدو حساباً، إذ سار بأقصر الطرق المؤدية إلى بلاد الشام وقد اسـتطلع المرحوم محمود شـيت خطاب منطقة مسـير خالد τ فوجد أنها أقصـر الطرق المؤدية إلى بلاد الشام[5].

وفي معركة اليرموك 13هـ/634م[6] قاتل العرب المسـلمون على أطراف الصـحراء من أجل ضمان وصول الإمدادات والتموين من قواعدهم التي انطلقوا منها وهي الجزيرة العربية. وعندما وصـل القائد خالد بن الوليدτ إلى الشـام عقد القادة اجتماعاً في خيمة يزيد بن أبي سـفيان وهم في الجابية وكان من رأي أبي سـفيان في أثناء النقاش مع أمراء الجند حول اختيار مكان لتحشـيد جيش المسـلمين حيث قال "إن معسـكركم هذا ليس بمعسكر اني أخاف أن يأتيكم أهل فلسطين والأردن فيحولوا بينكم وبين مددكم من المدينة فتكونوا بين عسكرهم فارتحلوا حتى تجعلوا اذرعات[7] خلف ظهوركم يأتيكم المدد

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج1 ص470، القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية، ص155.

(2) زعزاع: الكتيبة الكثيرة الخيل ، وسـير زعزاع فيه تحرك وتزعزع تحرك، الفيروز ابادي، القاموس المحيط ج3 ص35.

(3) رواحاً: اسم الوقت من الزوال الى الليل، الرازي، مختار الصحاح، ص

(4) سرى: سرى بالكسر (اسرى) أي سار ليلا وجاء في القرآن الكريم [**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**] سورة الاسراء آية 1.

(5)محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد، ص142، وكان ذلك سنة 1959عندما كان ضابطاً بالجيش العراقي

(6) خليفة بن خياط، تأريخ خليفة بن خياط، ج1 ص87.

(7) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء، ينظر ياقوت الحموي معجم البلدان ح1 ص110.

والخير"[1] وبذلك حرص المسلمون على بقاء المواصلات بينهم وبين قواعدهم مفتوحة من أجل وصول الإمدادات عن طريق الصحراء، ولربما استفاد المسلمون من الخطأ الذي وقع فيه خالد بن سعيد بن العاص عندما أخلى للعدو ظهره بالتوغل في بلاد الشام، وأخذ من الخلف[2] في معركة مرج الصفر [3].

انسحبت القوات العربية حتى نزلوا "خلف اليرموك وجعلوا اذرعات خلف ظهورهم"[4]، وبذلك أمّنوا ظهورهم من أي حركة التفاف يقوم بها العدو، وفضلاً عن تامين وصول الإمدادات من مركز الخلافة (المدينة المنورة)، وحافظوا على اتصالهم بالصحراء.

2 - السهول:

عندما علم هرقل باجتماع جيوش المسلمين، كتب إلى بطارقته "أن اجمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن[5]، واسع المنطرد ضيق المهرب"[6].

وقد نزلت جيوش الروم "فيما بين دير أيوب إلى ما يليها من نهر اليرموك"[7]. وكانت البقعة التي اختارها الروم للتمركز فيها، من أهم الظواهر الطبيعية التي أثرت بصورة مباشرة في سير ونتائج معركة اليرموك[8]. إذ يوجد نهر اليرموك وبحيرة طبريا اللذان يحميان جناحه الأيمن ووادي اليرموك عن يساره، وقد نزل الروم في سهل على هيئة شبه مثلث يكون ضلعيه من "وادي الرقاد شمالاً ونهر اليرموك جنوباً"[9] ينظر الخريطة رقم (9).

---

(1)ابن عساكر،تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص532،الواقدي فتوح الشام،ص149 ابن بدران،تهذيب،ج1 ص162

(2) الطبري، تأريخ، ج3 ص389.

(3) الطبري، تأريخ، ج3 ص389.

(4) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص533.

(5) العطن: وطن الإبل ومبركها حول الحوض، ومربض الغنم حول الماء، الفيرز آبادي، القاموس المحيط ج4 ص25 ؛ الرازي، مختار الصحاح، ص441.

(6) الطبري، تأريخ، ج ص393؛ ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص548.

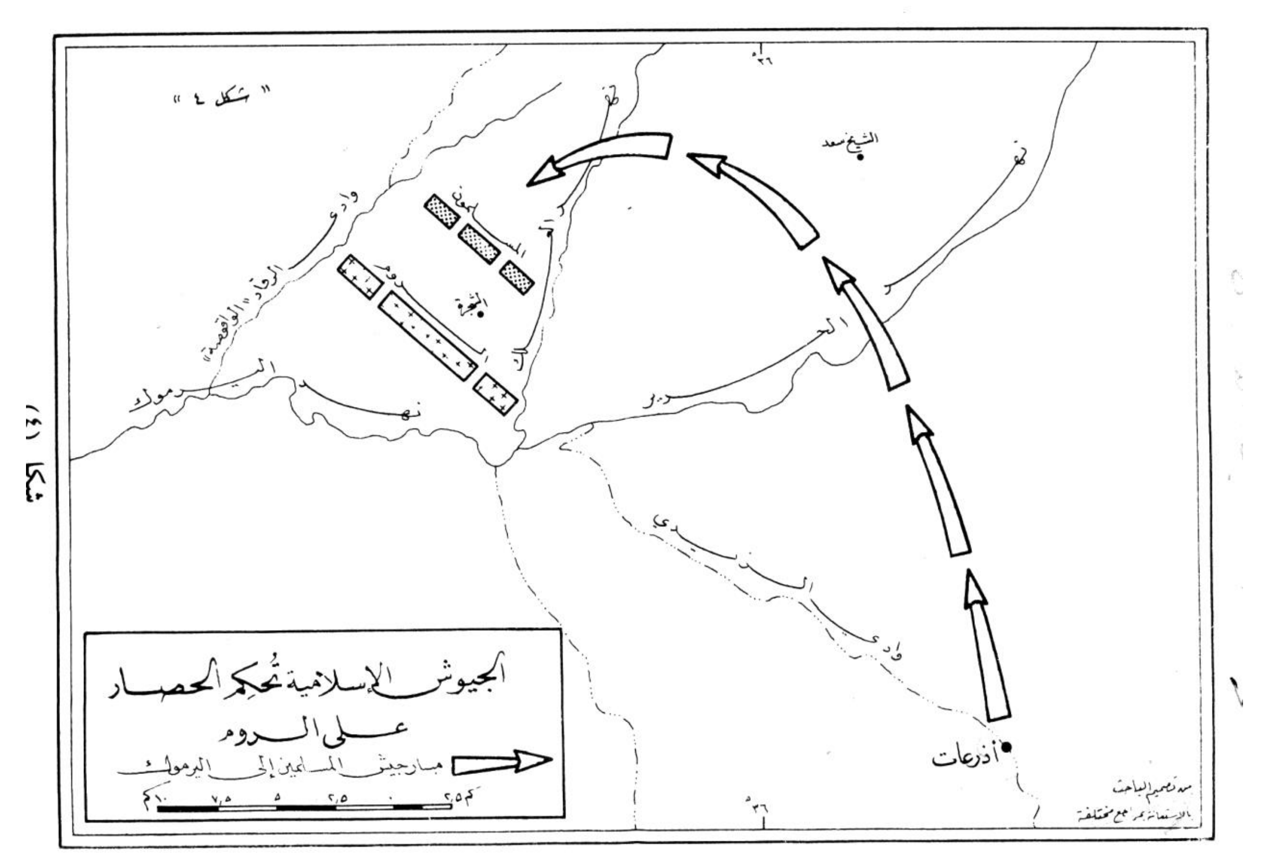
(7) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص533.

(8) طه عثمان الفراء، جغرافية موقعة اليرموك، مجلة الداره، العدد 3 ديسمبر 1986 ص33.

(9) طه عثمان الفراء ، جغرافية معركة اليرموك، ص34.

الخريطة رقم (9)

الجيوش الاسلامية تحكم الحصار على الروم



استلت من مجلة الدارة

طه عثمان الفراء

وبعد أن استقر جيش الروم في المكان المشار إليه، وبنظرة فاحصة من لدن القائد عمرو بن العاص إلى طبيعة الأرض أشار على المسلمين بالتحول من اذرعات، والنزول بمحاذاتهم، وسدوا عليهم باب السهل[1]. وقال "أيها الناس أبشروا، حُصرت الروم وقلّما جاء محصور بخير"[2]. فنزل المسلمون بحذاء الروم وعلى طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم[3].

وكان من نتائج المعركة أن حقق العرب المسلمون نصراً ساحقاً على جيوش الروم لحسن استخدامهم العامل الجغرافي في أرض المعركة، فأخطأ الروم في تعسكرهم إلى الشمال من نهر اليرموك وفطن العرب إلى خطأ الروم فرصدوا لهم جماعة كثيفة سدت عليهم باب السهل[4].

3 - الوديان:

ظل الجيشان جيش المسلمين، وجيش الروم بدون قتال لمدة ثلاثة أشهر بسبب أن الروم نزلوا الواقوصة[5] إذ كانت "تحميهم من ورائهم والخندق من أمامهم"[6] وذلك أن الروم اتخذوا موضعاً دفاعياً قبل حدوث المعركة، ولعل ذلك يعود إلى الهزائم التي مني بها الروم على أيدي المسلمين.

وبدأت المعركة بأسلوبها التقليدي المتمثل بالمبارزة، فشدد خالد τ الضغط على جيش الروم، فحاول فرسانهم الهرب من باب السهل الذي تسده قوات المسلمين، فلما

(1) الطبري، تأريخ، ج3 ص393، أحمد محمد حسونة، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، ص33.

(2) لبن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص549.

(3) الطبري، تأريخ، ج3 ص393، ابن كثير، البداية والنهاية ج7 ص6، كلوب، الفتوحات الإسلامية ص304.

(4) أحمد محمد حسونة، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، ص33.

(5) الواقوصة: واد بالشام نزله المسلمون لقتال الروم، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج8 ص440.

(6) الطبري، تأريخ، ج3 ص393، الخضري بك، تأريخ الأمم الإسلامية، ج1 ص191.

رأى خالد ذلك من الروم أمر القوة بأن تفتح طريقاً لفرســـان الروم لكي يســـهل عليهم عملية الفرار، وكان هدف خالد τ هو عزل الفرسان عن المشاة[1]، وتحقق له ذلك.

فانفرد خالد τ بمشـاة الروم، أما المقترنون بالسـلاسـل فلم يثبتوا له وهوى أكثرهم في الواقوصة، وسميت ذلك لأنهم وقصوا فيها[2].

وقد وصف ابن عساكر عملية السقوط "... فيهوي الواحد بالعشرة لا يطيقونه وكلما هوى اثنان كان البقية منهم أضـــعف فكان المقترنون اعشـــاراً، فتهافت في الواقوصـــة عشـرون ومائة ألف"[3]، وسـبب ذلك يعود إلى الضـباب الذي أعاق الرؤية[4]، وقيل ان ذلك كان في الليل[5]، مما يدل على انعدام الرؤيـة، ونرجح الرأي الثاني الذي يؤيد السقوط بسبب عدم الرؤية ليلاً وليس بسبب الضباب لأن المعركة حدثت في الصيف.

---

(1) ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، ص276، عبدالرؤوف عون، الفن الحربي العربي،مط المعارف (مصر 1961) ص228.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج8 ص440.

(3) ابن عساكر، المجلد الاول ص547.

(4) الحموي، ياقوت، معجم البلدان ج8 ص440.

(5) المصدر نفسه ج8 ص440؛ محمود أحمد محمد سليمان الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنار (الأردن 1987)، ص247.

4 - التــلال:

اســـــتفاد العرب في معركة اليرموك من التلال في المكان التي نزلوا عليها ويروي الواقدي أن العرب المسلمين نزلوا اليرموك وجعلوا اذرعات خلفهم وكان هناك تل وضـع المســلمون فيه نســاءهم وأولادهم[1]، ويعتقد بأنه تل شــهاب[2] الحالي، ذلك لما فيه من أسباب الحماية لمعسكر المسلمين لوقوعه خلف معسكرهم.

وقد استفاد المسـلمون من تل السـمن الذي يقدر ارتفاعه (635م) فوضـعوا صـفهم الأمامي عليه، حتى تتمكن القيادة من الإشــراف على المعركة[3] وهذا ما أكده الهرثمي في اختيار مكان الجيش عند لقاء العدو بقوله "احرص أن تســند ظهور أصــحابك في مصـاف اللقاء إلى الموضـع الذي تأمن اخذ العدو فيه.. واحرص أن يكون مكان القلب على جبل أو شرف.. "[4].

إن نزول العرب المســلمين على تل الســمن يعطي للمســلمين سـيطرة تامة على المنطقة المحيطة بالسهل وبذلك نلاحظ أن العرب قد أحسنوا استخدام أنواع التضـاريس كافة من أجل تحقيق النصر.

---

(1) الواقدي ، فتوح الشام، ج1 ص150.

(2) محمود شــاكر، تخطيط المســلمين للقتال، بحث مســتقل من مجلة الفيصــل، العدد (102) 2 أيلول 1985، ص40؛ الجنرال أأ كرم، سيف الله خالد بن الوليد 461 .

(3) محمود شاكر، تخطيط المسلمين للقتال، ص40.

(4) الهرثمي، مختصــر ســياســة الحروب، 33؛ محمود أحمد محمد، الجيش والقتال في عصــر صــدر الإسلام، ص343.

الخاتمــة

وبعد هذا العرض للعوامل الجغرافية التي تركت آثارها في الفتوح الاســـلامية، يحسن بنا إجمال النتائج التي خرج بها البحث وهي كالآتي:

1. لقد ثبت من خلال البحث والاســتقصــاء أن النبي محمد ρ كان حريصــاً على التنبّه لوجهة الريح واتجاه الشـمس وان تكون في وجه العدو وظهور المسـلمين، وخير دليل على ذلك معركة بدر، إذ اســتقبل الرســول محمد ρ المغرب وجعل الشــمس خلف ظهره. وقد اقتدى به القادة المسلمون من بعده، مثال ذلك في معركة القادسية.
2. كان النبي محمد ρ على علم ويقين أن لهذه العوامل الجغرافية أثرا في المعارك وانها لم تكن اعتباطاً وانما بتســخير الله عزّ وجلّ، ويمكن أن تتمثل حقيقة ذلك في قوله ρ "نُصرتُ بالصبا وأُهكلت عاد بالدبور".
3. قاتل العرب المســـلمين أعدائهم في ظروف جوية مختلفة كســـقوط الأمطار والثلوج والبَرَد وكان الانتصار للعرب على اعدائهم.
4. كان لتأثير المياه جوانب مختلفة بحسب جبهات الفتح، ففي شبه الجزيرة العربية كانت المياه في بعض المعارك العامل المسـيطر على حسـم النصــر لأحد الفريقين إذا ما اســتطاع أحدهما التمكن من مصــادر المياه ومنع الآخر من الوصــول اليها، وذلك يعود الى قلة المياه ووجودها في مواضــع محددة كالآبار مثلاً، وهذا ما ظهر واضـحاً في معركة بدر عندما اختار النبي محمد ρ منزلاً قريباً من الماء والسيطرة عليه ومنع العدو من الشــرب منه. أما في جبهة العراق فلم تكن المياه مؤثرة بهذه الصــورة لكثرة تواجدها في الكثير من ســـاحات المعارك وانما اتخذت طابع التأثير كمانع طبيعي يمنع من سـير الجيش أو انحسـاره وعدم الإفلات مهما حاول إلى ذلك سـبيلاً ويتمثل ذلك في معارك العبور ومعارك الضـــفاف وقد أثبتت معارك العبور ان الهزيمة غالباً ما تكون حليف من يعبر النهر لأنه يضـــع نفســـه بين النهر والعدو. كما أن العرب المسلمين استطاعوا استخدام الخيول بمثابة زوارق لعبور نهر دجلة لفتح المدائن.

5. بقي المســـلمون حيناً يتهيبون ركوب البحر لأنهم لم يألفوا ذلك من قبل حتى إذا ما اسـتقر العرب وعلا شـأنهم في الإسـلام وتكررت ممارسـتهم للبحر وثقافته شـرعوا يجاهدون فيه وأنشـأوا أكبر أسـطول بحري، فكان البحر في أول الأمر يشـكل مانعاً مؤثراً في اتساع الفتح الاسلامي الى أن ركبه معاوية بن أبي سفيان في زمن الخليفة عثمان بن عفان τ.

6. اختار العرب بناء معســكراتهم على اطراف الصـــحراء مؤكدين على أهمية الجانب الصحي والعسكري وهذا يتجلى من خلال المراسلات التي تمت بين الخلفية عمر بن الخطاب τ وقادة الفتح الاســلامي (رضـــي الله عنهم) حيث وضـــع الخليفة عمر τ قواعد لاختيار المكان الذي يوافق طبع العربي وذلك بقوله "إن العرب لا تصبر في بلاد لا تصبر بها الابل".

7. كانت الصحراء ملاذ العرب التي اعتادوا على العيش فيها وتعرف طرقها والسير في مسالكها ومفاوزها اذ نجد أن المعارك التي وقعت في أطراف الصحراء كان النصر فيها حليف العرب المسلمين. وعلى الرغم من أن الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البيزنطية (الروم) كانتا تمتلكان جيوشـــاً كبيرة غير انهما لم تســـتطيعا التوغل في الصحراء لعدم درايتهما بها.

8. والجبال هي الأخرى كانت صـورة تأثيرها واضـحة، وقد قصـدتها الجيوش كثيراً ولها أوجه من التأثير وذلك في جانب المسلمين نلتمسها في امرين:-

الاول: استخدمت كدروع لجيوش المسلمين يحمي ظهورهم كما جرى في معركة أُحد ومعركة الخندق.

الثاني: اتخاذها كرابية للاشراف على المعركة كما فعل المسلمون في معركة بدر والخندق حيث قام المسلمون ببناء عريش للنبي محمد ρ في مكان مرتفع ليكون مشرفاً على المعركة.

أما في جانب العدو فكثيراً ما كانوا يعتصمون بالجبال هرباً من جيش المسلمين فيكون الجبل مانعاً من الاجهاز عليهم.

9. اتخذت الوديان كمخبأ للمباغتة والكمون فيها للعدو ويظهر هذا في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بوادي الكديد ، ويظهر تأثيره على المسلمين عندما باغت جيش المشركين جيش المسلمين في وادي حنين.

ختاما احمد الله تعالى الذي اعانني على اتمام هذه الدراسة حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه واصلي واسلم على خاتم الانبياء رسول الله محمد ρ وعلى آله وصحبه اجمعين .. والله ولي التوفيق

المصـــادر

1. المصادر المخطوطة:

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ).

مخطوط ، رسـالة مختصـرة في بذل الماعور في اخبار الطاعون ، مكتبة الاوقاف، مجاميع رقم 13767/8.

2. المصادر المطبوعة:

ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن بن ابي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ) .

اسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ، التراث والعلوم لكل الشعب (بلات ومكان) .

الكامل في التاريخ ، مط ، دار صادر (بيروت 1965) .

ابن الاثير ، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ) .

النهاية في غريب الحديث والاثير ، ط2 ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، طاهر احمد الرازي ، دار الفكر 1399-1979 (بلا مكان) .

ابن الازرق ، ابو عبد الله بن الازرق (ت 896هـ) .

بدائع السـلك في صـبائع الملك ، تحقيق ، د. علي سـامي النشـار ، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، سلسلة كتب التراث ، 1978.

ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق (ت 151هـ) .

كتاب السـير والمغازي ، تحقيق ، د. سـهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت (1398-1978) (بلا مكان).

الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ) .

الاغاني ، تحقيق سمير جابر ، دار الفكر 1986 (بلا مكان) .

الاصفهاني ، الحسن بن عبد الله (ت هـ)

بلاد العرب تحقيق صالح احمد العلي وآخرون ، دار اليمامة ،(الرياض 1968).
ابن اعثم ، الكوفي ابو محمد احمد بن اكثم (ت 314هـ) .
الفتوح دائرة المعارف العثمانية (الهند 1968) .
ابن اياس ، محمد بن أحمد (ت 930هـ)
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار العلوم الحديثة (بيروت بلا ت)
البخاري ، ابي عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم (ت 256هـ/ 869م) .
صحيح البخاري ، دار الفكر بيروت ، (بغداد 1986) .
ابن بدران ، عبد القادر بدران (ت 1346هـ) .
تهذيب تاريخ مدينة دمشق الكبير ، (ط2) دار المسير بيروت 1979 .
البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى البغدادي (ت 279هـ/ 892م) .
فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مط ، النهضة المصرية (القاهرة (بلات) .
ابن الجوزي ، جمال الدين بن علي بن محمد (ت 597هـ)
المدهش تصحيح وتعليق مروان قباني ، دار الكتب العلمية (بيروت بلا ت)
ابن حبان ، محمد بن حيان بن احمد البستي (ت 354هـ) .
الثقات ، تحقيق ، شرف الدين احمد ، دار الفكر بيروت (1395-1975م) .
ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد (ت 852) .
الاصابة في تمييز الصحابة ، دار العلوم المدينة (المغرب 1328-1910) .
فتح الباري في شرح صحيح مسلم والبخاري.
تحقيق عبد العزيز الباز وآخرون ، دار الكتب العلمية (بيروت بلات).
الحلبي ، علي برهان الدين (ت 1044هـ) .
السيرة الحلبية المعروفة بانسان العيون في سيرة الامين والمأمون، مط الاستقامة (القاهرة 1382-1962)
الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ) .
معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 1996 .

الحميري ، محمد عبد العظيم الحميري (900هـ) .
الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان 1984.
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ) .
تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، (بيروت 1391-1971م) .
مقدمة ابن خلدون .
ابن خياط ، خليفة بن خياط (ت 240هـ/ 854م) .
تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، اكرم ضياء العمري ، مط الآداب (النجف 1386-1967) .
الذهبي ، الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1247م) .
تجريد اسماء الصحابة ، تحقيق صالحة عبد الحكم شرف الدين ، بومباي الهند 1389-1969 .
الرازي ، محمد بن ابي بكر (ت 666هـ/ 1267م).
مختار الصحاح ، دار الرسالة (الكويت 1983) .
تحقيق شعيب الارناووط ، عبد القادر الارناووط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الاسلامية، ط14 ، بيروت الكويت، (1407هـ/1986م).
ابن رسته ، احمد بن عمر (ت 290هـ) .
الاعلاق النفيسة، طبع ليدن 1891 .
ابن الزبير ، عروة (ت 94هـ/712م) .
مغازي رسول الله ρ ، تحقيق ، د. محمد مصطفى الاعلمي ، مكتبة التربية لدول الخليج العربي (1981) .
الزمخشري، محمود بن عمر (ت 467هـ/ 1074م).
الفائق في غريب الحديث

تحقيق علي محمد البجاوي و محمد ابو افضل ابراهيم ، دار المعرفة ، لبنان (بلا ت).

السخاوي ، شمس الدين السخاوي (ت 902هـ) .

التحفة الليطيفة في اخبار المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية بيروت 1993.

ابن سعد ، محمد بن سعد (ت 230هـ/ 844م) .

الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت (بلات) .

السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن (ت 581هـ) .

الروض الانفس في تفسير السيرة النبوية ، مط دار المعرفة (بيروت 1978) .

ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت 458هـ/ 1065م) .

المخصص ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديد بيروت (بلات).

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/ 1505م).

تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مط السعاد ، مصر 1952 .

كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، دار الكتب العلمية (بيروت 1985) .

شمس الدين ابو العباس احمد بن عبد الله (ت 684هـ)

ذخائر العقبى في مناقب ذي القربى ، تحقيق ، شعيب الارناؤوط دار الكتب العربية 1986 .

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م) .

تاريخ الرسل والملوك ، ط4 ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف (القاهرة 1962) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط3 ، مط مصطفى البابي واولاده .
عبد اللطيف البغدادي ، ابن يوسف بن محمد بن علي ويعرف بابن اللباد(ت 629هـ)
الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر
دراسة وتحقيق ، محمد علي محسن ، عيسى مال الله ، مط التعليم العالي (بغداد 1407-1987) .
ابن عساكر، الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت 571هـ).
تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق ، صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي (بدمشق 1951) .
ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ/1221م) .
تقويم البلدان ، عناية وتصحيح وطبع ، رينود والبارون ماك كوكين ديسيلان ، (باريس ، 1840).
المختصر في اخبار البشر ، مط الحسينية (بلات) .
الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1414م) .
القاموس المحيط ، مط دار الجيل (بيروت (بلات) .
ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ) .
المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1407هـ-1987م .
ابن قدامة ، ابو الفرج ين جعفر (ت 337هـ / 948م.
الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق ، د. محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد 1981.
القرطبي ، يوسف بن عبد البر النمري (ت 463هـ/ 1070م) .
الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق ، د. شوقي ضيف ، القاهرة 1403هـ .
كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب مطبوع مع كتاب الاصابة، مكتبة المثنى، (بغداد 1328هـ/1910م)
القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ).
اثار البلاد واخبار العباد مط دار صادر ، بيروت ، (بلات).

القلقشندي ، احمد بن عبد الله (841هـ) .

مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب بيروت (بلات) .

ابن القيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر (ت751هـ).

زاد الميعاد في هدى خير العباد تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الارناؤوط ط14 مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الاسلامية (بيروت ، الكويت ، 1407هـ – 1986م .

ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697/ 1297م) .

مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دول بني العباس ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون مط بغداد (بغداد 1970) .

ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ اسماعيل (ت 774هـ/ 1372م) .

البداية والنهاية ، دقق اصوله وحققه ، د. احمد ابو ملحم وآخرون (ط1) دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1405هـ–1985م.

تفسير القرآن العظيم .(بلا ت ومكان)

الكلاعي ، سليمان بن عبد الله (ت 634هـ) .

الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله ρ والثلاثة الخلفاء تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مط ، السنة المحمدية (بالقاهرة 1970) .

المرزوقي ، ابو علي المرزوقي ، (ت 421هـ/ 1030م) .

كتاب الازمنة والامكنة ، مط ، دار المعارف ، حيد آباد الدكن 1332 .

المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 345هـ/ 956م) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الشيخ جاسم الشماع ، دار القلم بيروت 1986.

التنبيه والاشراف ، مراجعة وتصحيح ، عبد الله اسماعيل الصاري مكتبة المثنى 1938 .

مسلم ، ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ/ 774م) .

صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة 1375-1955.

المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت 688هـ)

البدء والتاريخ ، دار النشر ، باريس ، 1916.

المقدسي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت 375هـ) .

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان 1408-1987 .

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت 845هـ) .

السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه محمد مصطفى زياد مط ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934 .

ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت 711هـ/1211م) .

لسان العرب ، قدم له العلاقة الشيخ عبد الله العلايلي ، دار لسان العرب بيروت (بلات) .

النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332م) .

نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ، مط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة 1975) .

الهرثمي ، ابو سعيد الشعراني صاحب المأمون (ت 200هـ /815م).

مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبد الرؤوف عوف (القاهرة بلات) .

ابن هشام ، ابي محمد عبد الملك بن هشام (ت 218هـ/ 833م) .

السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار الفكر بيروت (بلات) .

الهمذاني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت 334هـ/ 945م) .

صفة جزيرة العرب ، تحقيق علي محمد الاكوع ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1989 .

الواقدي ، محمد بن عمر بن قدامة (ت 207هـ / 822م) .

المغازي ، تحقيق مارسوس جونس مط اكسفورد 1966 .
فتوح الشام ، قدم له عمر ابو النصر ط1 ، المكتبة الاهلية بيروت 1969
.
ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر (ت 749هـ) .
تاريخ بن الوردي (ط2) مط الحيدرية بالنجف 1969 .
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب جعفر بن وهب الكاتب (ت 284هـ/ 897م)
تاريخ اليعقوبي ، قدمه محمد صادق ، مط الحيدرية بالنجف 1964 .
كتاب البلدان، مطبوع مع كتاب العلاقة النفيسة لابن رستة

المراجــع

أحمد كمال عادل

سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ط4، مط دار النفائس، (بيروت 1406-1986).

القادسية، ط6، مط دار النفائس، (بيروت 1981).

أحمد محمد باشميل

غزوة أحد، قدم له محمود شيت خطاب، ط3، (مكة المكرمة 1964).

أحمد محمد حسونة

اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية، مكتبة نهضة مصر، (القاهرة 1960).

أحمد مختار العبادي وآخرون

تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، (بيروت 1972).

بسام العسلي

فن الحرب الاسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والامويين، دار الفكر (بيروت 1408-1988).

مشاهير قادة الاسلام (ابو عبيدة بن الجراح)، ط4، دار النفائس، (بيروت 1402-1982).

الخضري بك، محمد الخضري

محاضرات، تاريخ الامم الاسلامية الدولة الاموية، دار المعرفة، بيروت (بلات).

خالد محمد خالد

رجال حول الرسول (ρ) دار الفكر (بيروت بلا ت)

سيف الدين سعيد آل يحيى

الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي الميزان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 1983.

صالح أحمد العلي

خطط البصرة ومنطقتها، مط المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1986).

صالح مهدي عماش

من ذي قار الى القادسية، دار الحرية للطباعة (بغداد 1973).

صفي الرحمن المبارك

الرحيق المختوم، دار احياء التراث العربي، (بيروت بلات).

طاهر مظفر العميد

تخطيط المدن الاسلامية، مط جامعة بغداد 1986.

عبد الجبار ناجي

دراسات في تاريخ المدن الاسلامية، مط جامعة البصرة (البصرة 1986).

عبد الحميد حسين

الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة، مط شفيق، (بغداد (بلات)).

عبد الرؤوف عون

الفن الحربي في صدر الاسلام، مط المعارف (مصر 1961).

عبد القادر المعاضيدي

انباء المدن الاسلامية بحث في كتاب الجيش والسلاح، دار الحرية للطباعة (بغداد 1988).

عبد الوهاب النجار

الخلفاء الراشدون، دار الكتب العلمية (بيروت 1979).

علاء حسين مكي خماس

فن الحرب عند العرب، بيت الحكمة (بغداد 1999).

علي محمد مياح

وصايا الحرب في التراث، دار الحرية للطباعة (بغداد 1986).

فارس حسن شاكر

عمر بن الخطاب، المكتبة المندنية، (بغداد 1989).
فؤاد عبد الباقي
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ، دار ومطابع الشعب (بلا ت ومكان)
محمد ابو الفضل ابراهيم وآخرون
ايام العرب في الاسلام، ط2 ، مط احياء الكتب العربية، (بلا مكان 1950).
محمد احمد باشميل
غزوة احد ، تقديم محمود شيت خطاب مكة المكرمة 1964 .
محمد حميد الله
مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3 ، مط الارشاد للطباعة، (بغداد بلات).
محمد شاكر حمزة
الجغرافية العسكرية، كتاب منهجي لطلاب الكلية العسكرية.
محمد عبد الستار عثمان
المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، (الكويت 1988).
محمد علي مادون
مسير خالد من الحيرة الى اليرموك او الدرب المفقود، دار الفكر 1982 (بلا مكان).
محمد فرج
العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ρ، دار الفكر العربي 1961 (بلا مكان).

محمود أحمد محمد سليمان
الجيش والقتال في صدر الاسلام، مكتب المنار، (الاردن 1987).
محمود الدرة
تاريخ العرب العسكري، دار الكاتب العربي، (بيروت 1964).
محمود شيت خطاب
خالد بن الوليد المخزومي، ط2، 1360-1970، (بلات ومكان).

قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، (القاهرة بلات).
الشورى العسكرية، مط المجمع العلمي العراقي (بغداد 1990).
النعمان عبد المتعال القاضي
شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة 1965).
نهاد عباس الجبوري
تدابير الامن العسكري في صدر الاسلام، دار الحرية (بغداد 1988) (بلا مكان).
هاشم يحيى الملاح
الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مط جامعة الموصل (الموصل 1991).
ياسين سويد
معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت 1973).
الفن العسكري الاسلامي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت 1988).

الكتب المترجمة

أأ اكرم
سيف الله المسلول خالد بن الوليد، ترجمة صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة ط4، بيروت 1402-1982.
الواموسيل
ترجمة، د. صدفي حمدي، عبد اللطيف عبد الرحمن داود، مراجعة، د. صالح أحمد العلي، د. علي محمد مياح، مط المجمع العلمي العراقي (بغداد 1411-1990).

جون جوت كلوب
الفتوحات الاسلامية الكبرى ، تعريب وتعليق خيري حماد، مكتبة المثنى، بغداد (بلات)
فالتر هنتس
المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، م ط ، القوات المسلحة الاردنية (بلا ت)

الدوريات

حسين علي الداقوقي
خالد بن الوليد وتحرير العراق، بحث مستل من مجلة الاستاذ ، مط جامعة بغداد 1982.
طه عثمان الفراء
جغرافية معركة اليرموك ، بحث مستل من مجلة الدارة العدد الثالث ، ديسمبر 1986م.
محمود شاكر
تخطيط المسلمين للقتال، بحث مستل من مجلة الفيصل العدد 102 ايلول 1985.

الرسائل الجامعية

أمل عبد الحسين عباس السعدي،
الابلة في العصر الإسلامي حتى 257هـ
رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد 1976.
أيوب عبد المجيد مخيلف،
معركة القادسية وأثرها في تحرير العراق 15هـ/636م،
رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية (أبن رشد) جامعة بغداد 1410هـ-1989م.
رباب جبار طاهر السوداني،

جبهة البصرة رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة البصرة 1409هـ- 1989م.
سمير صالح حسن العمر،
عثمان بن عفان، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد 1411هـ-1990.
غامس خضير حسن الدوري
الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباسية،
رسالة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد 1417هـ-1996م.
قيس عبد العزيز مهدي الدوري،
معركة نهاوند (فتح الفتوح) وأثرها في انهاء الحكم الساساني 21هـ/641م،
رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد 1421هـ-2000م.
مروان اسود حمد ،
تدابير الرسول ρ في شمال المدينة،
رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد 1411هـ-1990.